HARLEQUIN

روايات احلام

لا تبتسمي!

كارول مورتيمر

www.elromancia.com
مرمورية

لا تبتسمي!

جذابة، مراوغة... ومرتبطة!

كان لوغان يحب حياته كما هي بالضبط... دون مفاجآت! دون زواج! ودون ارتباط!...

ثم عرف أن أمه ستتزوج للمرة الثالثة. وهذا لا يزعجه عادة، لكنه حين اكتشف أن هذا الزواج سيؤذي دارسي، وجد نفسه يتورط محاولاً منع هذا الزواج...

ما لم يحسب حسابه أن تورطه هذا جعل حياته التي يسيطر عليها بدقة، تنقلب رأسًا على عقب... أكلّ هذا بسبب فتاة اعتبرها في لقائهما الأول: كومة نمش وعينان رماديتان فقط؟؟!

١ ـ حمراء الشعر

صوت تحطيم..

ـ اللعنة!

رفع لوغان نظره عن الرسائل التي كان يوقعها وتعبيره محتار لسماعه صوت التحطيم لما بدا له كالزجاج، ولحق به بسرعة الشتيمة.

ـ ماذا..؟

صوت تحطيم آخر!

تحوّل تعبير لوغان إلى ارتباك وهو يضع قلمه ويتّجه إلى مصدر الصوت.. غرفة الاجتماعات المتصلة بغرفة مكتبه المتسع.

كان هو واثنان من مساعديه قد تناولوا الطعام هناك في وقت سابق، وناقشوا العقود.. ولقد وجد لوغان أن هذه هي أفضل طريقة للعمل. كانت الطاولة لا تزال معدة جزئياً لتناول الطعام، لكن الغرفة ذاتها خاوية.

تمتم صوت مجهول المصدر بنفاد صبر: «اللعنة.. هاك قدحي زجاج يجب أن أجد بديلاً لهما الآن.. أنا.. آخ..!».

وكانت الكلمة الأخيرة صيحة ألم واضحة.

أصبح لوغان أكثر اهتماماً الآن. ودار ببطء حول الطاولة الطويلة، ليجد نفسه يحدق إلى شعر أحمر برّاق. آه.. لقد حل اللغز.. هذه هي الفتاة.. الامرأة التي خدمتهم وقت الغداء، الموظفة لدى «الشيف سيمون». ولم يكن لوغان قد لاحظها كثيراً أثناء وجبة الطعام، لأنه كان

منكباً على عمله، ونقاشاته، لكنه يتذكر لمحات عرضية لهذا الشعر الأحمر المشع وهي تتحرك بهدوء حول الطاولة.

نهضت الفتاة، ونظرت عابسة إلى يدها اليسرى حيث ظهرت الدماء على طرف أحد الأصابع.

ـ هل جرحت نفسك؟

مهما كان رد الفعل الذي توقعه لوغان على السؤال المتسم بالشفقة، إلا أنه لم يتوقع مطلقاً أن تقفز الفتاة توتراً، بحيث أوقعت أحد الأكواب الزجاجية.

تمكن لوغان من أن يمد يده ويلتقط الكأس قبل أن تتدحرج على الطاولة.. لتلحق بالكأسين اللتين أصبحتا حطاماً على الأرض الخشبية اللماعة.

تمتم بخشونة وهو يضع الكأس على الطاولة: «لا داعي لأن تشتري ثلاث كؤوس بدلاً من اثنتين.. هل هو جرح عميق؟».

ومد يده ليتفحص يد الفتاة.

لكن الفتاة انتزعت يدها من قبضته وأخفتها وراء ظهرها.. ثم رفعت نحوه عينين رماديتين فزعتين.. وشهقت: «أنا آسفة لإزعاجك سيد ماكنزي.. كنت أنظف الطاولة.. و.. و.. كسرت كأسين».

ونظرت إلى الأسفل نحو القطع المتناثرة: «و.. و..».

لم تتمكن الفتاة من إكمال ما أرادت أن تقوله فقد تلاشت فجأة وسط دموعها.

تراجع لوغان أمام عرض المشاعر هذا، وعبس بشدة.

ـ إنهما كأسان من الزجاج فقط.. وأنا واثق من أن «الشيف سيمون» ليس ذلك الغول الذي يجعلك تبكين لأجلهما.

كانت شركة الشيف سيمون للخدمات تعتني منذ أكثر من سنة بكل ما

يقيمه لوغان من مناسبات في غرفة الاجتماعات، ولطالما وجد لوغان أن الرجل يتحمل مسؤولية التعامل معه. ولو أنه لم يرَ هذه الفتاة الشابة من قبل، فربما هي جديدة، وتخشى أن تفقد عملها بسبب كسرها لتلك الأكواب؟

ـ يمكنك أن تقولي للشيف إني كسرتهما.

ثم خطر له أنها ربما تبكي لأنها قلقة أو منزعجة واعترف بهذا على مضض بعد أن تذكر لقاءه الأخير مع غلوريا منذ أسبوعين. وازداد عمق العبوس على جبينه وهو يتذكر الدموع التي ذرفتها، دموع غضب وإحباط، لأنه قال لها إن علاقتهما التي دامت سنة قد انتهت.. حتى أنها رمت إناء ورود عليه حين رفض أن يغير قراره.

رفضت الفتاة على الفور: «أوه.. لا أستطيع فعل هذا.. ثم أنه سيسجل الثمن على فاتورتك.. ولن يكون هذا منصفاً أبداً..».

وهزت رأسها.

إنصاف.. قلّما يسمع لوغان هذه الكلمة في عمله ولا حتى في حياته الخاصة.. إضافة إلى أن كلفة كأسين مكسورتين لن تتسبب طبعاً بإفلاس شركته ذات الأعمال والملايين الكثيرة..

مدت الفتاة يديها لتمسح الدموع المتساقطة على خديها، فلطختهما دون قصد ببعض الدم. تمتمت بإحباط وقد أدركت ما فعلت: «أوه.. اللعنة».

وفتشت عبثاً في جيوب بنطلونها عن منديل.

قال لوغان: «أنت تحبين هذه الكلمة.. أليس كذلك؟».

وأحنى رأسه قليلاً ليتفرس بوجهها للمرة الأولى.

كانت فتاة صغيرة نحيلة، بالكاد يصل طولها إلى كتفيه، ترتدي بنطلوناً أسود، وبلوزة عاجية اللون تبرز نحول جسمها. ويحيط بوجهها شعر أحمر مشع يصل إلى كتفيها. عندما نظر إليها للمرة الأولى بدا له أن وجهها مغطى

بالنمش.. لكن بعد التمعن رأى أن النمش يغطي خديها وأنفها فقط. عيناها رماديتان تحيط بهما رموش سوداء كثيفة، أمّا فمها فقد بدا عريضاً مع أنها لم تكن تبتسم في تلك اللحظة.

من أين أتت تلك الابتسامة؟ تساءل لوغان مذهولاً وهو يعيد تقييم الرأي الذي كوّنه عن هذه الفتاة بأنها غير ملفتة للنظر. فحين ابتسمت، غدت عيناها الرماديتان مضيئتين، وظهرت غمازتان على خديها المستديرين، كما لمعت أسنانها البيضاء في فم شهي ناعم.

حدق لوغان بها دون وعي، وأحس بأنه يفقد أنفاسه!

وقالت معترفة: «إنها ليست مشكلة مستعصية... وأنا أقدر لك عرضك بامتنان بالنسبة للكآسين..».

وتابعت الفتاة الابتسام، دون أن تعي مدى تأثير ابتسامتها هذه على لوغان: «كما قلت، لا يستأهلان الانزعاج بسببهما».

وهزت كتفيها.

قال لوغان غاضباً من نفسه.. ومنها: «إذن علام كنت تبكين؟».

تلاشت ابتسامتها.. فزال ارتباك لوغان.. وهز رأسه. الفتاة ليست جميلة بحق الله.. فما هي إلا كومة نمش وعينان رماديتان فقط!

قال بنفاد صبر: «حسناً؟».

رفعت وجهها وراحت تنظر إليه بعينيها الرماديتين الواسعتين، نظرة ملؤها التأنيب: «أنا.. أنا.. جرحت نفسي!».

ورفعت إصبعها المجروح.

نظر لوغان إليه عابساً.

ـ يبدو أن النزيف قد توقف.. ولا يبدو خطيراً.

لاحظ بعد أن شعر بالتوتر أنه أضاع ما يكفي من وقت على هذا الموقف.. مهما يكن!

قال فجأة بحدة: «سأقول لسكرتيرتي أن تأتيك بضمادة.. وفي هذه الأثناء، أقترح أن تغسلي إصبعك، ووجهك».

رفعت يدها إلى خدها بخجل: «أنا آسفة لإزعاجك».

قطبت وجهها وكأنها على شفير البكاء مجدداً.

ولم تكن لتدرك كيف أزعجته! ولو مؤقتاً!

سألها: «ما اسمك؟».

قالت بصوت بائس: «دارسي».

ـ حسناً آنسة دارسي..

صححت له بشكل يفتقد إلى الأناقة: «دارسي هو اسمي الأول».

أوه لا.. ستبكي مجدداً! ثم أليس دارسي اسم صبي؟

تمتم لوغان ساخراً: «كان والدك يريد ابناً.. هم؟».

لمعت العينان الرماديتان بغضب: «ما أراد، وما حصل عليه، أمران مختلفان تماماً».

ـ هذا الأمر يهم النساء عادة.

نظرت دارسي إليه عبر رموشها الطويلة السوداء: «هل أنت متزوج يا سيد ماكنزي؟».

ارتفع حاجبا لوغان بدهشة تحت شعره الأسود الذي يغطي جبينه.. ما علاقة وضعه العائلي بأي شيء؟

رد ببطء: «الحقيقة.. لا».

هزت رأسها وكأنها خمنت الجواب.

ـ أنا أعتقد أن شخصية المرأة تجعلها تستجيب للرجل الذي سبق أن تورطت معه، مثلاً...

قاطعها لوغان وهو يشد على فكه: «دارسي.. أنت هنا لتقديم وجبة الطعام فقط، وليس لتحليل نفسية الزبون».

قبل دقائق معدودة، كان مسروراً تماماً بيومه هذا. كان الغداء ناجحاً، والعقود جيدة، حتى وهو يتكلم مع هذه الشابة.. وكان يتطلع قدماً إلى العشاء هذه الليلة مع شقراء جميلة التقاها في حفل عشاء يوم السبت. لكن هذا الإحساس بالسعادة ضاع الآن وبات يشعر برغبة متزايدة في أن يخنق هذه الشابة!

وبدت دارسي مرتبكة قليلاً: «أنا آسفة جداً... المسألة فقط.. أنني عاجزة عن تمالك نفسي اليوم!».

ثم دفنت وجهها بين يديها، وعادت الدموع تنهمر مجدداً من عينيها.

هز لوغان رأسه بحيرة، وهو يشعر مرة أخرى بالارتباك الكامل أمام تلك الدموع: «أوه.. بحق السماء!».

ومد يديه يجذبها ليغمرها بين ذراعيه.

أحس بها صغيرة جداً وهو يضمها إلى صدره الصلب، كما أحسّ أن ملمس ذلك الشعر الأحمر كالحرير على أصابعه فراح يداعبه دون وعي وقد بدت له هشة كعصفور صغير.

ماذا يفعل بحق السماء؟ إنها الخادمة التي أتت لتقدم الطعام، وقد يدخل أي شخص عليهما الآن ويسيء فهم الموقف تماماً!

تحرك بانزعاج: «آه.. دارسي..».

كان ردها الوحيد على سؤاله المتردد بأن دفنت وجهها أكثر في صدر قميصه، حتى تبلل.

أحس لوغان أنه غير قادر على التعامل مع هذا الموقف. وراح يتمنى لو أن أحداً يدخل ويقاطعهما.. حتى لو أدى ذلك إلى إساءة الظن بتصرفه هذا!

قال بخشونة: «هاك..».

وأعطاها منديلاً أبيض أخرجه من جيبه الداخلي وارتاح حين تحركت

مبتعدة عنه قليلاً لتمسح دموعها.

قالت بصوت بائس: «أنا فعلاً آسفة.. لكني سمعت بعض.. بعض الأخبار المزعجة.. قبل قليل.. قبل أن أحضر إلى هنا.. أنا لا أبكي عادة فوق كتف الغرباء.. أؤكد لك».

وابتسمت ابتسامة دامعة.

رد لوغان بشبه ابتسامة، وحاول المزاح: «لا بأس في هذا.. فلا أحد منا كامل!».

وتساءل أي نوع من الأخبار تلقته هذه الشابة لكي تبدو بهذه الحالة..

وسمع نفسه يقول: «هل يمكن أن أساعدك بشيء؟».

ثم عبس مقطباً لهذا الاهتمام غير العادي بشؤون امرأة غريبة، أياً كانت.

ينتمي لوغان إلى عائلة اسكوتلندية كبيرة، مؤلفة من جد طاعن في السن، وأم، وخالتين وعدد من النسيبات. وكان يسهل عليه عادة الابتعاد عن المشاحنات التي تعصف بالعائلة باستمرار. ولولا ذلك لأمضى معظم وقته عالقاً في المشاكل، بينما هو يفضل حياة أكثر هدوءاً، ولهذا السبب يقضي معظم وقته في شقته في لندن!

لماذا يبدي إذاً هذا الاهتمام بمشاكل شخص غريب عنه تماماً؟ خاصة بهذه المرأة التي بكت على صدره وتركت لطخات دم على قميصه! هذا ما كان يجهله.

ابتسمت دارسي بمرارة، وهزت رأسها: «أشك في هذا.. لكن شكراً على السؤال».

أحس بالتوتر لأنها لم تخبره ما كان يزعجها! ماذا دهاه بحق السماء؟

شجعها متملقاً: «يقال إن المشاكل تهون عندما نتشاطرها».

هزت رأسها: «أشك في أنك قد تهتم».

وبدا عليها الإحراج، فقال لها بصوت أجش: «حاولي».

هزت دارسي كتفيها مجدداً.

ـ الأمر فقط.. لا.. لا أستطيع حقاً.. دا... أقصد الشيف سيمون لن يكون ممتناً لو عرف أنني أناقش حياته الخاصة مع أحد زبائنه.

الشيف سيمون؟ دانيال سيمون..؟ هل كادت هذه الفتاة تنادي «الشيف» المشهور باسمه الأول؟ لا بد أن بينهما علاقة حميمة تتخطى علاقة العمل.

دانيال سيمون.. وهذه الفتاة، دارسي؟

ولم يستطع لوغان إخفاء دهشته.. فهذه الفتاة تبدو في بداية العشرينات من عمرها، بينما ما يعرفه لوغان عن دانيال سيمون، هو أنه رجل في أوائل الخمسين من عمره.. الربيع والخريف.. صحيح أن هذا الأمر ليس غريباً تماماً، لكن لوغان لم يتصور ذلك الرجل مع تلك الفتاة. بل في الواقع، لا يستطيع القول أنه فكر ولو مرة واحدة بحياة دانيال سيمون الخاصة!

كما أنه لا يريد التفكير بها الآن!

هز رأسه بحدة: «ربما أنت على صواب، سأرسل لك الضمادة مع كارين».

وهمّ بالخروج.

ـ سيد ماكنزي..؟

استدار على مضض، ورد بجفاء: «نعم.. دارسي؟».

قالت بصوت أجش: «شكراً لك».

وابتسمت له للمرة الثانية. وتسببت مرة ثانية بتلك الرعشة العنيفة داخل صدره!

فرأى لوغان أنه كلما أسرع في الخروج من هنا، كلما كان ذلك أفضل!

رد بخشونة حادة: «أهلاً بك».

وانسحب عائداً إلى مكتبه.

هل هرب؟ سأل نفسه ما إن جلس وراء مكتبه. من هي هذه المرأة.. دارسي؟ أمر سخيف. لقد نال ما يكفيه من دموع امرأة ليومه هذا.. خاصة وأنها أفسدت له تماماً قميصه الحريري بدموعها والدم النازف من إصبعها!

تأوهت دارسي في نفسها.. ماذا سيكون رأي لوغان ماكنزي بها؟

لقد حاولت بشدة إبعاد أفكارها المقلقة هذا الصباح، مركزة فقط على تقديم الغداء للزبون وضيفيه، لكنها لم تتمكن من السيطرة على أفكارها المشوشة. فما إن بدأت تنظف المائدة، حتى أوقعت الكأسين أرضاً، الأمر الذي بدا كأنه القشة التي قصمت ظهر البعير، في يوم تشعر فيه وكأن الأرض قد تهاوت تحت قدميها.

لكن، مع ذلك، ما كان يجب أن تبكي وتبلل قميص لوغان ماكنزي الأبيض. وهي تشك بإمكانية إزالة الدم عنه!

كان منديله المبلل لا يزال معها. لن تستطيع أن تعيده له في حالته هذه.. كما أنها لا تظن أن لوغان ماكنزي سيفتقد منديلاً أبيض.. لكنها مسألة مبدأ بالنسبة اليها.. إنها..

وأعلن صوت مشرق أنثوي: «ها قد أتيت».

ودخلت كارين هيل، سكرتيرة لوغان ماكنزي الخاصة إلى الغرفة، حاملة مرهماً مضاداً للالتهاب وضمادة.. نظرت إلى دارسي متسائلة: «لقد قال لي لوغان إنك أصبت بحادثة».

كانت دارسي على ثقة من أن لوغان يعتقد أنها «حادثة» كبيرة! وانكمشت حرجاً وهي تتذكر الطريقة التي انتحبت فيها على قميص الرجل المسكين، وقالت: «إنه جرح بسيط.. مجرد ضمادة ستفي بالغرض».

وتقبلت العون بخفة، فالجرح لم يعد ينزف، ولو أنه كان يلسعها قليلاً.

لكن، لم يكن الجرح يؤلمها بقدر ما آلمها أن تتذكر انهيارها التام أمام

لوغان ماكنزي منذ بضع دقائق! كلما أسرعت في الخروج من هنا، كلما كان ذلك أفضل لها.

أخذت الضمادة شاكرة: «شكراً.. أوه.. هل لديك فكرة عن قياس قميص لوغان.. أعني السيد ماكنزي؟».

ارتفع حاجبا كارين الشقراوان في دهشة واضحة، وكررت متسائلة: «قياس قميص لوغان..؟».

يا لها من غلطة.. صحيح أنها تنوي استبدال قميص لوغان ماكنزي الحريري الذي أفسدته إلا أن عليها أن تجد طريقة أخرى لمعرفة القياس المناسب.

قالت للمرأة الأخرى بمرح: «لا يهم.. سأنهي تنظيف المكان هنا وأغادر».

ردت المرأة الأخرى وقد بدا واضحاً أنها ما زالت حائرة لسؤال دارسي: «عظيم».

ما إن أصبحت دارسي وحدها حتى وضبت أدوات الطعام بسرعة في السلال ولفت الكأسين المكسورتين بورق صحف لتأخذهما معها.

وكان من حظها أن وجدت لوغان ماكنزي ينتظر قرب المصعد حين تقدمت بجهد عبر الممر حاملة سلتين ثقيلتين!

استدار لينظر إليها، وشهق شهقة خفيفة حين عرفها وقطب جبينه.

هز رأسه محيياً بحدة: «دارسي».

ونظر بنفاد صبر إلى الأنوار التي تشير إلى تحرك المصعد البطيء.

فأدركت دارسي أنه لا يطيق البقاء بقربها ويود الابتعاد عنها.. وعرفت أنه قد يطلب من دانيال سيمون ألاّ يرسلها بعد اليوم لخدمة أي غداء عمل يقيمه. حسناً.. لا داعي لأن يقلق من هذه الناحية.. فقد حضرت اليوم فقط لأن الشركة بحاجة إلى اليد العاملة.

أسس دانيال سيمون مطعم «الشيف سيمون» منذ خمس سنوات في لندن، وأصبح هذا المطعم ناجحاً بحيث راح الزبائن يسألونه عما إذا كان بإمكانه تقديم الطعام في حفلات العشاء والغداء التي يقيمونها في منازلهم.

لسوء الحظ، أصيب عدد من الخدم بالأنفلونزا، ولهذا تمّ تجنيد دارسي للمساعدة اليوم.. لكنها تمنت لو أنها لم تقم بهذه الخدمة مطلقاً.

ـ هاك.. دعيني.

ومد لوغان ماكنزي يده بنفاد صبر وأراحها من إحدى السلتين الثقيلتين.

رمشت دارسي عينيها دهشة، وهي ضائعة في أفكارها، وتمتمت بذهول: «شكراً لك».

ثم أضافت بارتباك: «لكن، لا داعي حقاً».

وتحركت لتستعيد السلة من يده.

إلا أن لوغان لم يسمح لها بذلك، وأحكم أصابعه الطويلة النحيلة حول مقبض السلة، وقال بحدة: «اتركيها».

وصل المصعد، فتراجع لكي تدخله هي أولاً.

نظرت دارسي إليه من تحت رموش منخفضة وهو يضغط زر المصعد على الطابق الأرضي. إنه في الخامسة والثلاثين من العمر تقريباً، وسيم بشكل لا يصدق.. وصارم بطريقة متعجرفة.. شعره أسود ناعم، وعيناه زرقاوان بلون البحر الصافي، أنفه طويل إلى حدٍ ما، وفمه منحوت ساحر. ملامحه رجولية خشنة تناسب مزارعاً أكثر من رجل أعمال يرتدي قمصاناً حريرية.

اللعنة.. تذكرت ما حصل منذ قليل ولاحظت لطخات الدم الظاهرة على القماش الجاف فتأوّهت في سرّها.

أحست دارسي بالراحة حين وصل المصعد أخيراً إلى الطابق الأرضي. فقد كان الصمت بينهما ثقيلاً مزعجاً.

ومدت يدها لتأخذ السلة منه، من دون أن تتحرك لتلحق به إلى خارج المصعد.

وقف لوغان ماكنزي عند الباب، وقطب مرة أخرى.

ـ إلى أين أنت ذاهبة؟

ـ إلى الطابق السفلي.. لدي شاحنة صغيرة هناك.

ـ في هذه الحالة..

وعاد إلى المصعد وأقفل الباب خلفه وضغط زر النزول إلى الطابق السفلي.

قالت مرة أخرى: «لا داعي لهذا حقاً».

وأحست بالارتباك التام لأن صاحب هذه الشركة العالمية يساعدها بهذه الطريقة.

رد بتجهم: «بل هناك داعٍ.. فتاة صغيرة الجسم مثلك لا ينبغي أن تحمل هاتين السلتين الثقيلتين. صحّحي لي إذا كنت مخطئاً، لكن أنت وحدك اهتممت بالتحضير للغداء اليوم، أليس كذلك؟».

كان سؤاله حازماً، وقد تجاهل أنها كانت على وشك الاحتجاج لنعته لها بذات الجسم الصغير، وضاقت عيناه الزرقاوان.

ـ أجل..

ونقلت السلة الثقيلة إلى يدها الأخرى.

ـ نحن اليوم بحاجة إلى عمّال، كما ترى، و..

قاطعها لوغان وهو يخرج إلى الطابق السفلي المعتم الذي يُستعمل كموقف للسيارات في شركة «ماكنزي للصناعات».

ـ وإن يكن؛ يجب ألاّ يتوقعوا منك التعامل مع هذه الأمور. هذا ما سأذكره لدانيال سيمون في أقرب فرصة.

قالت بعناد ولوغان ماكنزي لا يزال متجهماً: «أوه.. لا تفعل هذا!

لقد تدبرت الأمر بشكل رائع. هل كان لديك شكوى من الطعام؟».

رد ببطء: «لا..».

أكدت بإشراق: «لا مشكلة إذن.. أليس كذلك؟».

نظر إليها مفكراً: «أتعرفين يا دارسي.. قد تجدين دانيال أقل من.. مستبد قليلاً، لولا أنك متلهفة لإرضائه».

رفعت دارسي نظرها إليه، لكن الإضاءة الخافتة في موقف السيارات جعلت من المستحيل عليها أن تقرأ تعبير وجهه بوضوح.. وهذا أمر مؤسف.. لأنه لم يكن لديها فكرة عما يعني بقوله هذا!

ردت: «لم يكن هذا سوى غداء عمل».

واستعدت للذهاب بعد أن وضعت الأغراض في «الڤان» وأمسكت المفاتيح بيدها.

ـ أنا لم أكن ألمح بشكل خاص إلى الغداء.

إذن عمّ يتكلم؟ في الواقع، كان بإمكانها التعامل مع الجزء الأخير من هذه المهمة بشكل أفضل.. لو لم تنفجر بالبكاء.

عبس لوغان ماكنزي قليلاً وبدت الحيرة على وجهه وقال: «أنا أقدم لك نصيحة يا دارسي.. والأمر عائد لك إذا كنت ستقبلين بها أم لا».

تمتمت: «أنا.. شاكرة لك».

ولم يكن لديها فكرة عن النصيحة التي أسداها لها!

لم تكن المسألة مسألة إرضاء دانيال سيمون، فهي متكدرة، بل أكثر من متكدرة.. ولو أنها رفضت المساعدة في العمل لكان رفضها ضرباً من الفظاظة، في وقت كان هناك نقص في الخدم. فالعمل عمل، على أي حال.. اعترفت بهذا بمرارة.

هز لوغان ماكنزي رأسه بحدة قبل أن يستدير بسرعة باتجاه المصعد، ويدخله بأسارير متجهمة ويقفل الباب وراءه.

يا له من رجل غريب. هذا ما فكرت به دارسي وهي تصعد إلى «الڤان» وتقوده إلى خارج الموقف. لطيف في دقيقة، ونافد الصبر في أخرى، ثم حكيم يسدي النصح في وقت آخر.

ما بالها تفكر فيه الآن في حين أن أكبر المشاكل بالنسبة إليها هو دانيال سيمون.. الشيف سيمون.

فالواقع أنه هذا الصباح، قد أعلمها بكل هدوء أنه ينوي الزواج من امرأة كان قد التقى بها منذ ثلاثة أسابيع فقط!

* * *

٢ ـ لا تبتسمي!

قالت سكرتيرة لوغان له: «هذا لك».

ووضعت على مكتبه رزمة كبيرة بنية اللون، طبع عليها بوضوح اسمه وعنوان مكتبه.

رفع لوغان رأسه مقطباً.. كانت أفكاره لا تزال منصبة على العقد الذي يدرسه، فالأمور القانونية باتت أكثر تعقيداً مع مرور الوقت. ومع أن فريقه القانوني يتعامل معها بشكل جيد، لكنه كان يرغب في معرفة رأي ابن خالته فيرغوس أيضاً قبل أن يوقع على أي شيء.

لكن مديرة منزل فيرغوس أبلغت لوغان أنه سافر إلى اسكوتلندة إلى منزل جدهما.. وما من شك أن هيوغ ماكدونالد لديه سبب وجيه لطلب خدمات محامي العائلة، لكن في هذه اللحظات بالذات لم يكن صبر لوغان يسمح له بالاهتمام بهذه الأسباب.

وضع القلم الذهبي جانباً، ومرر يده فوق جبينه المتعب.. فأمسية البارحة التي أمضاها مع تلك الشقراء لم تكن ناجحة كما أمل أن تكون.

فبعد نصف ساعة أمضاها مع أندريا الجميلة، اكتشف أنها تقهقه كالمراهقات، وتتكلم دون توقف عن عملها كعارضة أزياء ولا تأكل كثيراً، حفاظاً على جسمها..!

وكانت الأمسية قد طالت كثيراً بالنسبة للوغان، حتى أنه تنهد بارتياح حين تمكن أخيراً من إيصال أندريا إلى شقتها دون أن يطلب رؤيتها مجدداً!

سأل كارين: «ما هذا؟». ونظر دون اهتمام إلى اللفافة.

قالت سكرتيرته الكفؤة: «ليس لدي فكرة. لم أفتحها.. لقد كُتب عليها «شخصي وخاص».

ورفعت حاجبيها الأشقرين متسائلة.

التوى فم لوغان بتعبير ساخر وهو يتطلع إلى اللفافة المغطاة بالورق، وقال متشدقاً: «هل تفحصتها؟ قد تكون قنبلة أو أسوأ من هذا».

ورنت في أذنيه تهديدات غلوريا بعد فراقهما منذ أسبوعين.

ضحكت كارين ولم تبدِ تعاطفاً مع مشاعر لوغان القلقة.. ومع أن هذا لم يكن مفاجئاً له إلا أنه تقبله على مضض. فكارين تعمل عنده منذ ما يقارب عشر سنوات وقد مر عليها عدة نساء شبيهات بغلوريا دخلن حياته وخرجن منها... وهي تعرف أن أياً منهن لم تنجح في التأثير عليه.

أكدت له ممازحة: «لقد وصلت عن طريق شركة شهيرة».

ظهرت على وجهه تكشيرة: «هذه ليست ضمانة!».

ضحكت كارين مجدداً بنعومة: «هيا لوغان، خاطر لمرة في حياتك.. افتحها».

نظر إلى اللفافة مرة أخرى وإذ لم يجد عليها عنوان المرسل، سأل: «هل قال المرسال ممن هي؟».

لم تكن اللفافة ثقيلة، وكأن العلبة التي بداخلها فارغة.

ردت كارين: «لا.. لكن إذا كنت تعتقد حقاً أنها قنبلة، فهل تريدني أن أنادي جيرارد ليأخذها إلى الطابق السفلي و..؟».

قاطعها بخشونة: «لا.. لا أعتقد هذا..».

ـ حسن جداً.. ألن تفتحها؟

ـ سأفتحها.. في الحال.

وراح ينتزع الورقة السمراء عن العلبة، ثم فتحها قائلاً: «ما

هذا..؟».

وحدق باستغراب في المنديل والقميص الحريري الأبيضين الموضوعين في العلبة.

نظرت كارين من فوق كتفه إلى محتويات العلبة وأطلقت صفيراً خافتاً من بين أسنانها: «لهذا إذن أرادت معرفة مقاس قميصك..».

رفع لوغان نظره إليها بحدة: «من أراد أن يعرف؟».

ولماذا يسأل وقد عرف المرسل.. قد يكون القميص الحريري الأبيض هدية غالية الثمن من أي امرأة.. لكن المنديل المغسول والمكوي.. لا يمكن أن يأتي سوى من امرأة واحدة.. دارسي!

قبل أن يطوي الورق ويضع الغطاء فوق العلبة، ألقى نظرة سريعة أظهرت له أن ما من رسالة مرفقة في داخلها. لكن، لم يكن من حاجة للرسالة، فهو يدرك تماماً من أرسل له هذه الأشياء. لطف من دارسي أن تغسل المنديل وتكويه وتعيده إليه، أما بالنسبة للقميص فإنه لا ينوي قبوله، فالفتاة مجرد خادمة في مطعم، وهو يعرف تماماً كم يكلف قميص حريري.

كانت أساريره متجهمة وهو ينظر إلى ساعته، متسائلاً عما إذا كان المطعم يفتح أبوابه في مثل هذا الوقت. نظر إلى كارين، وقال بحدة: «هل يمكن أن تطلبي لي مطعم «الشيف سيمون» أرجوك؟».

هزت كارين رأسها: «بالطبع».

وتحركت نحو الباب. ثم توقفت وهي تفتحه: «كن لطيفاً معها.. هم؟ كانت تبدو حلوة جداً، و..».

رد بنفاد صبر: «اطلبي لي الرقم فقط يا كارين».

آخر ما يريده هو أن تظن سكرتيرته أن دارسي مفتونة به، وأن تتصرف على هذا الأساس.

كان يعرف تماماً سبب إرسال هذا القميص له، ولا دخل للأمر

بالافتتان. بل على الأرجح أن تلك المرأة السخيفة مفتونة بدانيال سيمون، ولا تريد المخاطرة بفقدان عملها معه.

اختطف السماعة بعد أن طلبت له كارين الرقم.

ـ مساء الخير.. الشيف سيمون.. كيف أستطيع أن أخدمك؟.

أمسك لوغان السماعة بشدة. فقد كان غاضباً لتصرف دارسي، لكن لا جدوى من فقدان أعصابه مع شخص آخر لهذا السبب!

ـ أريد التحدث إلى دارسي أرجوك.

وأدرك في تلك اللحظة أنه لم يسألها عن اسم عائلتها.

ـ دارسي؟ لست متأكداً من وجود زبونة بمثل هذا الاسم سيدي.. لكنني سأتأكد، لو أنك...

قاطعه قائلاً: «إنها ليست زبونة.. إنها تعمل لديكم».

وحاول الحفاظ على هدوئه الذي كاد يخونه.

وجاء الرد المحتار: «لست واثقاً.. لحظة من فضلك سيدي..».

واستطاع لوغان سماع دمدمة أصوات من بعيد.

راح ينقر أصابعه على منضدته بنفاد صبر وهو ينتظر.. ووقع نظره على العلبة التي تحوي القميص فعاودته مشاعر الانزعاج من جديد.

عاد الصوت المرح على الطرف الآخر من الهاتف: «آسف لهذا سيدي، لكن يبدو أن دارسي ستكون في المطعم هذا المساء».

سأل بخشونة: «في أي وقت؟».

ـ كلنا نصل عادة في السابعة..

ـ احجز لي طاولة للساعة الثامنة باسم ماكنزي.. ولشخص واحد.

ـ بكل تأكيد سيدي.. هل أقول لدارسي..

قاطعه بخشونة: «لا! أريد مفاجأتها».

ولم تكن المفاجأة هي كل ما يريده لدارسي.

ـ بكل تأكيد سيدي، ستكون الطاولة جاهزة.

وأقفل الخط.

تراجع لوغان إلى الوراء في كرسيه، وظهر تعبير متجهم على وجهه وهو يفكر أن دارسي لن تكون مسرورة بلقائه في المطعم هذا المساء.. خاصة وأن دافعه الأكبر هو أن يدق عنقها النحيل. فقد تكون هذه الأمسية أكثر إثارة للاهتمام من الأمس!

ذلك المساء، كان في شقته يستحم ويرتدي ملابسه.

وإذ همّ بالخروج، سمع رنين الهاتف. لكنه لم يرفع السماعة، إنها السابعة والنصف، وإذا كان سيصل إلى المطعم في الثامنة، فيجب أن يغادر بعد بضع دقائق. لكن جرس الهاتف لم يكفّ عن الرنين.

أخذ لوغان السماعة، وقال بنفاد صبر: «نعم؟».

رد فيرغوس: «أمسية سعيدة يا ابن الخالة».

سأله لوغان: «أين أنت؟ لدي بضعة عقود أريدك أن تراها. لم تكن موجوداً حين..».

ـ لوغان.. أنت تعرف تماماً أني لم أعد محامياً مواظباً.. أنا أعمل فقط في هذا المجال كخدمة للعائلة.

أكمل فيرغوس بنعومة: «احتاجني جدي في اسكتلندا لمناقشة بضعة أمور.. لكنني عدت إلى لندن الآن، لذا..».

سأله لوغان بحذر: «أي نوع من الأمور؟».

كان من عادة جده تغيير وصيته كل شهر تقريباً، بحسب من يفضّله من ورثته في ذلك الوقت. لكن هذا لم يكن يزعج لوغان على الصعيد الشخصي، فقد كان ثرياً بما يكفي لكي لا يهتم بملايين ماكدونالد. لكن، أمه، سوف تغضب إذا ما تم استبعادها من الوصية.

رد فيرغوس بهدوء: «هذا ما أردت أن أكلمك عنه».

ـ أنا خارج الآن يا فيرغوس. ألا يمكن الانتظار حتى الغد؟

رد فيرغوس ببطء: «هذا ممكن».

وسمع لوغان ذلك التردد في صوت الرجل: «لكن..؟».

إنها تلك الوصية مجدداً!

ـ لكن.. الأفضل أن أتكلم معك الليلة.

ـ حسن جداً.

وتنهد لوغان بقلق.. لا شك أن الأمر يتعلق بوصية جده.

ـ لدي حجز في مطعم «الشيف سيمون» للساعة الثامنة.. لاقني هناك.

رد فيرغوس بحدة: «الشيف سيمون؟ لكن..».

سأله لوغان: «هل لديك مشكلة؟».

ولم يكن متأكداً ما إذا كان ابن خالته متورطاً مع أحد في هذه الأونة.

كان أبناء الخالة الثلاثة فيرغوس وبرايس ولوغان، معروفين في العائلة باسم «الإرهابيين الثلاثة» خلال سنوات المراهقة في اسكتلندا. أما الآن، وقد بلغوا أواسط الثلاثين، وبقوا من دون زواج، فقد أصبحوا معروفين في الأوساط الاجتماعية «بالمراوغين الثلاثة».

لم يكن أحداً منهم قد تزوج بعد، إلا أن ذلك لا ينفي وجود علاقات مع الجنس الآخر في حياة فيرغوس.

رد فيرغوس مفكراً: «لا.. لا مشكلة.. في الواقع، قد تكون فكرة جيدة، بل فكرة جيدة جداً.. يجب أن أغير ملابسي أولاً، وأوافيك في أسرع ما يمكن».

أعاد لوغان السماعة ببطء وهو مقطب بشدة. سيكون من الجيد رؤية فيرغوس، فقلما تتسنى له الفرصة لذلك. وبالرغم من أن الأمر جاء في وقت مناسب، لكن لا بأس.. إذا ما حالفه الحظ فستتاح له بضع دقائق لوحده قبل

وصول فيرغوس، ليسوّي الأمر مع دارسي بشأن القميص الحريري.

تجهمت أساريره وراح يضغط على فمه بشدة وهو يفكر باللقاء القادم.. لقد حان الوقت لمفاجأة دارسي!

دخلت كاتي إلى المطبخ تحمل أطباقاً متسخة وقالت لدارسي بأنفاس مقطوعة: «هناك رجل على الطاولة رقم ١١ يريد التحدث إليك دارسي».

رفعت دارسي نظرها: «أنا؟ هل أنت واثقة أنه يعنيني أنا؟».

هزت كاتي كتفيها: «لقد قال دارسي».

والتقطت طبقين من القريدس، وأسرعت عائدة إلى قاعة المطعم الرئيسية.

أحست دارسي وكأن يداً قبضت على معدتها. زبون يطلب التحدث إليها.. لم يعجبها هذا، مطلقاً!

نصحها دانيال سيمون: «الأفضل أن تذهبي لتري ماذا يريد».

نظرت دارسي إليه بقسوة، وهي تملس تنورتها وتسوّي بلوزتها بترتيب على خصرها النحيل، وردت بسخرية:

ـ ابقي الزبون راضياً بأي ثمن.. أليس كذلك؟.

هز كتفيه: «حسن جداً.. ما دام اهتمامك بالزبون يرضيه ويحقق بعض الربح.. فلا بأس بذلك، أجل!».

ازداد وجه دارسي عبوساً، وردت: «مضحك جداً..! هل يمكنك تدبير أمورك لدقيقة من دوني؟».

ابتسم لها، وتجمدت عيناه الزرقاوان مرحاً: «أعتقد أنني أستطيع ذلك».

استدارت على عقبيها نحو الباب الذي يقود إلى داخل المطعم فنصحها دانيال بخشونة: «ابتسمي.. فالزبون يفضل الابتسام».

أوشكت أن ترد على ملاحظته بشكل لاذع لكنها لم تفعل.. وبدلاً من ذلك التفتت إليه بنظرة مؤنبة أخرى، قبل أن تخرج من الباب الذي يقود

مباشرة إلى المطعم.

ترنحت خطواتها عند رؤيتها للرجل الجالس على الطاولة رقم ١١..

إنه لوغان ماكنزي!

رؤيته جعلتها تفقد أنفاسها لبرهة، فهو يبدو جذاباً في البذلة السوداء التي كان يرتديها.

قد يكون لوغان أحد أكثر الرجال وسامة بين الذين وقعت عليهم عيناها، وهذا على الأرجح ليس رأيها فقط.. إضافة إلى ذلك فهي تشك في أن يكون قد جاء إلى هنا لمجرد أن يراها. وما أكد ظنونها هو أن الطاولة التي يجلس إليها محضرة لشخصين.

كان يتطلع إلى خارج النافذة فيما هي تتقدم نحوه فمن الواضح أنه ينتظر ضيفاً لينضم إليه على العشاء. جيد.. هذا يعني أن حديثها معه سوف يكون مختصراً.

حيته بخشونة وهي تقف قرب الطاولة: «سيد ماكنزي».

استدار بسرعة عند سماع صوتها، وضاقت عيناه الزرقاوان وهو يرفعهما إليها، ووقف: «دارسي.. انضمي إليّ لبضع دقائق».

وأشار إلى الكرسي المقابل: «إلا إذا كنت تفضلين أن أعيد لك هديتك على مرأى من الجميع؟».

جلست دارسي بسرعة ودون لباقة. ليس لأنه هددها بأن يحرجها.. بل بسبب قوله الذي أذهلها.

ـ ستعيدها؟

كرر بخشونة: «سأعيدها. وماذا كنت تظنين..؟».

وصمت ثم قطب منتقداً: «لا يعجبني شعرك عندما تربطينه إلى الخلف هكذا.. فهو يتسبب في شحوب البريق النحاسي لوجهك ويحوله إلى لون بني يشبه لون الوحل».

ظهر على وجه دارسي شبح ابتسامة: «ذلك اللون النحاسي البراق كان لعنة حياتي. في المدرسة كانوا ينادونني «الجزرة»».

قال موافقاً: «يمكن للأولاد أن يكونوا أكثر المخلوقات قسوة.. وأنا واثق أن الناس، أعني الرجال على الأقل كانوا يزدادون إعجاباً بلون وجهك النحاسي مع بلوغك سن الرشد».

لكنها لم تلاحظ هذا!

قالت: «ربما.. سيد ماكنزي..».

صحح لها بحزم: «لوغان.. لا يمكنك أن تتحدثي بتكلف إلى رجل تربطك به علاقة سمحت لك بأن تقدمي له قميصاً حريرياً وبالمقاس الصحيح».

بللت دارسي شفتيها، وردت بخشونة: «لقد حصلت على بعض المساعدة في هذا الأمر».

كانت قد نظرت إلى والدها وقدّرت أنه ولوغان يملكان البنية الجسدية ذاتها.. فكانت معرفة قياس القميص بعد ذلك أمراً سهلاً. لكن تبين لها أن إيجاد المحل المناسب لشرائه هو الأمر الأكثر صعوبة.

كانت نظرة لوغان باردة حين قال بخشونة: «لن أسألك من أين أو ممن!».

نظرت دارسي إليه باستغراب وقالت ببطء: «إذا كان القميص بالمقاس المناسب.. فأنا لا أفهم لماذا تريد أن ترده..؟».

تجهمت أساريره، وقال من بين أسنانه: «لا تفهمين! دارسي.. لا يمكنك توزيع الهدايا للغرباء هكذا».

ضحكت لقوله هذا، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تجد فيها شيئاً تبتسم له منذ بعض الوقت.

نظر لوغان إليها بارتياب: «ما الذي يضحكك هكذا؟».

قالت تذكره وعيناها تلمعان بلون رمادي: «لقد قلت لي للتو إنك لست غريباً!».

هز رأسه، وصاح: «أتمنى ألا تفعلي هذا».

سألت بحيرة: «أفعل ماذا؟».

نظر إليها مقطباً: «أن تبتسمي».

يا للأمر المحيّر. لقد طلب منها دانيال سيمون أن تبتسم، لأن الزبائن يفضلون هذا. لكن يبدو أن هذا الزبون لا يفضله بالتأكيد.

لم تفهم دارسي لماذا يفضل لوغان ألاّ تبتسم. وقالت: «الشيف سيمون يجب أن نكون مهذبين وودودين مع الزبائن».

تفرس لوغان بها: «وهل تأخذين بالحسبان دائماً ما يحبه الشيف سيمون؟».

في الحقيقة، كانت غاضبة منه جداً، ولا تهتم بما يحبه أو لا يحبه!

لكن لوغان ماكنزي كان لطيفاً معها يوم أمس.. بل أكثر من لطيف. وهي مدينة له للطريقة التي ساعدها بها..

قال لوغان بإصرار: «هل تظنين مثلاً أنه يجب أن تصرفي راتب أسبوع لشراء قميص لرجل التقيت به لتوك؟».

رمشت بعينيها.. فهي لم تفكر بمسألة شراء القميص من هذا المنظار.. لكن الآن وقد فكرت بذلك، لم يتغير في الأمر شيء. فهي قد أفسدت قميص هذا الرجل وعليها أن تشتري له قميصاً آخر. حتى لو كلفها ذلك الكثير!

تنهد لوغان بثقل: «ما أحاول قوله، هو أنني لا أنوي إخبار دانيال سيمون عما حدث بيننا يوم أمس».

شهقت دارسي غير مصدقة واتسعت عيناها: «لم يحدث بيننا شيء يوم أمس».

ذلك العناق كان بريئاً، وهي تتحداه أن يدعي العكس.

ـ أقصد أنك ما كنتِ تتصرفين باحتراف..

احتجت: «بكل تأكيد لم يكن..!».

رد لوغان: «دارسي.. هلا تخلّصت من بلادة الذهن هذه؟ أنا أحاول أن أطمئنك إلى أنني لا أنوي إخبار رب عملك أنك كنت بالأمس متكدرة وأنك رحت تبكين. وفي هذه الحالة، لا داعي لشراء القميص لي، هل فهمتني الآن؟».

ردت دارسي: «آه.. أنت تظن أنني اشتريت لك القميص لئلا تخبر رب عملي أنني بكيت على صدر زبون مميّز يوم أمس.. أليس كذلك؟».

بدا الارتياح على لوغان لأنه أوصل لها فكرته: «بالضبط».

يا للمتعجرف.. اللعين..

وصل أحدهم وقال بصوت متعب وهو يتقدم إلى الطاولة: «آسف للتأخير لوغان.. واجهت صعوبة في إيجاد سيارة أجرة».

رفعت دارسي نظرها ما إن سمعت القادم يتكلم. كانت تعتقد أن لوغان ينتظر امرأة، لكنها مخطئة كما يبدو. كان الرجل يشبه لوغان إلى حد بعيد، وكأنهما توأمان. إلا أن الآخر كان بني العينين وشعره الأسود أطول بقليل من شعر لوغان.

ضاقت العينان البنيتان حين أدرك القادم أن لوغان لم يكن وحده. وتحركت تلك النظرة المتسائلة نحو دارسي.. إلا أنه سرعان ما استنتج أنها ليست من الصنف الذي يفضله لوغان عادة!

فقال بسخرية: «كان علي أن أفهم أنك لست هنا لوحدك يا لوغان».

وقفت دارسي بسرعة: «أوه.. لكنه لوحده.. على الأقل، كان لوحده إلى أن وصلت أنت.. والآن لو سمحتما لي أيها السيدان.. سأعود إلى المطبخ».

وكادت تضيف: «إلى حيث أنتمي»، لكنها لم تفعل.

وقف لوغان، وتحركت يده بسرعة تمسك ذراعها: «دارسي.. ! لم ننه حديثنا بعد».

نظرت إليه قائلة بصوت تشوبه المرارة: «أوه.. أعتقد أننا انتهينا.. أنت تلفت أنظار الناس».

والتفتت إلى حيث كان عدد من الزبائن والعاملين ينظرون إليهما بفضول.

قال بحدة: «لا أهتم أبداً بما أفعله.. أنا لم أنهِ حديثي معك..».

ولم يعر بقية الناس اهتماماً.

قال الرجل بحذر: «هل تريدني أن أغادر يا لوغان؟ يمكن أن نتحدث في وقت آخر».

صاح لوغان: «أسكت يا فيرغوس.. أنا ودارسي..».

ردد الرجل بحدة: «دارسي؟ هل قلت دارسي؟».

قال لوغان هو يصر على أسنانه: «أطلب منك البقاء بعيداً عن هذا فيرغوس.. فهل لك أن تجلس فقط، وسأعود بعد لحظة؟».

وتحرك دون أن يتأكد ما إذا كان الرجل قد أطاعه، فجذب دارسي إلى أحد جوانب المطعم، ووقف معها وراء نبتة خضراء طويلة.

تطلعت إلى الستار الأخضر قبل أن ترفع نظرها إلى لوغان، وقالت: «لمَ لا تأخذ القميص؟ ثم ننسى كلانا هذه المسألة».

أخذ لوغان نفساً حاداً: «ربما لأنني لا أريد أن أنسـ..».

فجأة ظهر الشيف سيمون إلى جانبهما: «هل كل شيء على ما يرام يا دارسي؟».

قال هذا وجال بنظره بينهما.

ـ يبدو أن كاتي تظن أن هناك مشكلة ما.

واستقرت عيناه بلطف على لوغان.

عظيم.. عظيم جداً.. بعد يومين من الشعور بالغضب العارم من هذا الرجل، جاء لوغان ماكنزي ووضعها في موقف محرج معه! وهذا آخر ما كانت تريده في الوقت الحاضر!

ردت دارسي بحدة: «ما من مشكلة.. فالسيد ماكنزي على وشك الجلوس والاستمتاع بوجبته.. أليس كذلك؟».

ونظرت إلى لوغان محدقة.

ردد الشيف سيمون فجأة، موجهاً نظرة حادة إلى الرجل الأصغر سناً:

ـ ماكنزي؟ لوغان ماكنزي؟.

تحداه لوغان: «وإن كنت هو؟».

سئمت دارسي من كل هذا. فقد كان الموقف سخيفاً بما يكفي حتى الآن. وها هو يصبح مضحكاً، فالرجلان ينظران إلى بعضهما كأنهما ملاكمان في الملاكمة، يفكران بمن سيسدد الضربة الأولى!

تنهدت بثقل: «لوغان.. هل لك أن تعود إلى طاولتك وتطلب وجبة طعامك؟ يمكن أن نتكلم عن.. ذلك الموضوع الآخر، في وقت آخر.. هذا إذا كنت تعتقد حقاً أن هذا ضروري».

تقدم فيرغوس لينضم إليهم: «تعال والقِ نظرة على لائحة الطعام يا لوغان، فأنا أتضور جوعاً».

بدا لوغان على استعداد للنقاش.. لكن نظرة إلى قسمات وجه دارسي المتجهمة كانت كافية لتجعله يلين قليلاً، ولو أنه ظل ينظر إلى الشيف سيمون بعدوانية، حتى وهو يرد على فيرغوس.

ـ ربما أنت على صواب.. على أي حال، هذا مطعم.

وبدت عليه السخرية.

رد الشيف سيمون بالجفاء نفسه: «ومن أفضل المطاعم.. لو عذرتمانا أيها السيدان، دارسي وأنا لدينا طعام نحضره».

وأمسك دارسي وجرها نحو المطبخ ولم ينتظر إقفال الباب وراءه قبل أن يمسك ذراعها الأخرى بالقوة ذاتها ويديرها لتواجهه، بطريقة جعلتها تقف دون حراك أمامه.

ـ والآن، هلاّ قلت لي ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ تقفين في زاوية حميمة مع رجل مثل لوغان ماكنزي؟

رفعت دارسي نظرها تتفرس به.. ولم تكن تدري كيف يمكنها أن ترد على مثل هذا السؤال..

***

٣ ـ مؤاساة ولكن!!

نصح فيرغوس ابن خالته وهو يدس لائحة الطعام في يده:

ـ هاك.. ألقِ نظرة عليها.. واجلس بالله عليك.

وجلس بدوره متابعاً: «وستقول لي بالضبط ماذا يجري!».

عاد لوغان إلى مقعده، وهو يعي أن عدة نادلات ما زلن ينظرن إليه بفضول.. لكن هذا لا يهمه فهو مهتم الآن بمعرفة أي نوع من الأحاديث يجري في المطبخ بين دارسي وحبيبها المسن!

إنه واثق أن هذا ما هما عليه هذان الاثنان، فهناك نوع من الحميمية بينهما ورغبة تنضح من دانيال سيمون.

كان لوغان يعتقد أن افتتان دارسي بسايمون من طرف واحد، لكنه يدرك الآن أنه ليس كذلك، وهذا ما لم يعجبه!

لقد التقى دارسي بالأمس لكنه أحس بنوع من حب الحماية نحوها.

ـ ظننت أنك تسيطر على الموقف حين قلت لي إنك قادم إلى مطعم الشيف سيمون هذا المساء..

انتبه لوغان إلى أن فيرغوس يكلمه، فسأل: «ماذا قلت؟».

فقد كانت أفكاره في مكان آخر، في المطبخ تحديداً.

تنهد فيرغوس بنفاد صبر، ووضع لائحة الطعام من يده وقال ناصحاً:

ـ دعنا نشرب شيئاً.. أشعر أنني بحاجة إلى شيء أشربه!.

واستدار إلى النادل وطلب عصير فاكهة.

www.elromancia.com

لملم لوغان أفكاره المشتتة، وأدرك أنه لم يكوّن فكرة عما كان فيرغوس يقوله منذ بضع دقائق..

لم يتناه إلى مسامع لوغان أي صياح من جهة المطبخ.. ولم تخرج دارسي غاضبة.. لذا، بإمكانه الافتراض أن الحبيبين يتعانقان الآن ويتصالحان.. ولو أن هذه الفكرة تثير الاشمئزاز بالنسبة له!

سأل فيرغوس بنعومة: «ماذا كنت تقول..؟».

سكب النادل لهما العصير، ثم طلبا الطعام.

تفرست به عينا فيرغوس البنيتان القاتمتان من فوق حافة كأس العصير، وسأل أخيراً: «ماذا تفعل هنا بالضبط يا لوغان؟».

ـ في هذه اللحظة أشرب العصير.

ورفع كأسه: «وبعد قليل، كما آمل، سأتناول الطعام.. أليس هذا ما يفعله المرء حين يأتي إلى المطعم؟».

ابتسم فيرغوس دون مرح: «مضحك جداً.. هل لي أن أسأل ما هو نوع اهتمامك بدارسي؟».

هز لوغان رأسه: «يمكنك أن تسأل».

تابع فيرغوس سؤاله: «إذاً؟».

أخذ لوغان وقته قبل أن يرد، وارتشف العصير بهدوء، فالتقت نظراته بنظرات ابن خالته..

أخيراً رد مراوغاً: «وما الذي يجعلك تعتقد أنني أهتم لأمرها؟».

التوى فم فيرغوس: «كانت جالسة معك حين وصلت، وكنتما مستغرقين في حديث عميق على ما يبدو».

قال باختصار: «إنها تعمل لشركة الشيف سيمون. وقد التقينا بالأمس حين قدمت لنا غداء عمل في مكتبي».

تابع فيرغوس ضغطه: «وهل هذا كل شيء؟».

رد لوغان بنفاد صبر: «أجل.. هذا كل شيء! لكن، حتى ولو لم يكن الأمر كذلك.. فمنذ متى وأنت تهتم لأموري الخاصة يا فيرغوس؟».

وبدا أن فيرغوس على وشك أن يرد رداً لاذعاً، لكنه غيّر رأيه ولم يفعل، وأخذ نفساً مهدئاً: «متى كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها الخالة ميغ والدتك».

التوى فم لوغان: «أعرف من هي ميغ يا فيرغوس».

ـ إذاً؟

تنهد لوغان: «فيرغوس.. أنا لست شخصاً يقف على منصة الشهود ليعاني من طريقتك الفذة في الاستجواب!».

ـ أنا لم أعد أعمل في هذا المجال وأنت تعرف هذا.

ـ لكنك ما زلت تبدو كذلك.

رد بهدوء: «أؤكد لك.. أن لدي أسباباً لسؤالي.. هل رأيت الخالة ميغ خلال الأسابيع الثلاثة الماضية؟».

أجاب لوغان بنفاد صبر: «أمي في أواسط الخمسين.. وأنا في أواسط الثلاثين ولا احد منا يشعر بالحاجة إلى أن يقدم تقريراً للآخر بشكل منتظم!».

ـ لوغان.. أنا لا أنتقد تصرفك بالنسبة لأمك..

ضاقت عينا لوغان: «هذا ما أرجوه، لأنك لو انتقدتني، لسألتك متى رأيت أمك لآخر مرة».

كاد فيرغوس يجيب لو لم تأتِ النادلة بطلباتهما.

تذوق لوغان طبق «الباتيه» ثم سأل ابن خالته: «هلاّ دخلت في صلب الموضوع يا فيرغوس».

ـ الموضوع هو أنك لم تكلم أمك مؤخراً.

هز لوغان كتفيه: «لم أكلمها منذ عدة أسابيع».

كشر ابن خالته: «إذن، وجودك هنا الليلة محض صدفة؟».

ـ لقد سبق وقلت هذا.. ألم..؟ ماذا تعني بصدفة؟ ما دخل أمي بالشيف سيمون؟

وأحس بأن الرد على هذا السؤال بالتحديد لن يعجبه!

أخذ فيرغوس نفساً عميقاً: «كما تعرف، ذهبت لرؤية جدي..».

ونظر نحو الباب معلقاً: «أوه.. لا! هذا ما كان ينقصنا!».

واستدار لوغان، بعد أن أدرك أن شيئاً هاماً يجري عند مدخل المطعم.. وساد صمت قصير بين الحضور، ثم حلت مكانه دمدمة أصوات متلهفة حين تعرف الجميع على المرأة التي دخلت لتوها.

الممثلة مارغريت فرايزر.

عرف لوغان المرأة على الفور وفي اللحظة ذاتها، رأى دارسي تخرج غاضبة من المطبخ.. ربما كان مخطئاً في ظنه أن الحبيبين يتعانقان في المطبخ ويتصالحان..؟ كانت عيناها تلمعان بدموع لم تنهمر، ووجهها أحمر نارياً.. لم يكن لوغان واثقاً أكان هذا من الغضب أم بسبب الدموع التي لم تذرف.

لم تنظر دارسي يميناً أو يساراً وهي تسير بعناد نحو الباب، ولو أنها توقفت لحظة بعد أن عرفت المرأة الواقفة هناك والتي بدت جميلة بشكل لا يضاهى.

صاحت دارسي بقرف واضح: «أنت! لقد حصلت على ما تريدين.. إنه لك! وأرجو أن تكوني راضية!».

وتابعت طريقها بإصرار إلى الخارج، وصفقت الباب خلفها.

استدار لوغان مذهولاً إلى فيرغوس: «ماذا يحصل بحق الله؟».

قال ابن خالته باختصار: «إلحق بدارسي يا لوغان».

ـ لكن..

قال فيرغوس بعناد: «لمرة واحدة في حياتك افعل ما أقوله لك من دون

جدال.. سأحاول أن أسوّي الأمر هنا».

ونظر عمداً عبر الغرفة إلى حيث كانت مارغريت فرايزر تتابع سيرها إلى الداخل.

ومع أن المرأة المسنة صدمت بهجوم دارسي الكلامي في البداية، إلا أنها استعادت رباطة جأشها بسرعة.. وأخذت تبتسم بفتنة للزبائن الآخرين وهي تسير بثقة عبر المطعم، برفقة أصدقائها الثلاثة الذين وصلت معهم.

كان على لوغان الإختيار بين أمرين: اللحاق بدارسي أو مواجهة الممثلة الفاتنة وجهاً لوجه، ففضّل اللحاق بدارسي..

ـ لوغان.. حبيبي!

وانكمش لوغان.. فبعد أن لمحته أخيراً يقف في آخر الغرفة، سارعت مارغريت فرايزر لتشمله بإحدى تحياتها المسرحية.. كانت رائحة عطرها عابقة وهي تقبل خديه.

وقالت بحرارة: «وفيرغوس كذلك».

راقبها لوغان بهدوء وهي تعانق فيرغوس.. كانت صغيرة الجسم أنيقة، بشعرها اللماع وقدّها الرشيق وجهها الجميل وعينيها الزرقاوين.

لم يكن هناك شك في أن مارغريت فرايزر امرأة مذهلة الجمال.. إلا أنها آخر شخص كان لوغان يتمنى أن يراه هنا هذا المساء!

ذكره فيرغوس بعد أن تنفس الصعداء من أحضان الممثلة: «لوغان.. دارسي».

قطبت مارغريت فرايزر متسائلة: «دارسي..؟».

التوى فم لوغان: «إنها المرأة الشابة التي أهانتك وأنت تدخلين».

فهزت رأسها بغموض: «أوه.. دارسي تلك».

حثه فيرغوس بلهجة حاسمة: «هل لك أن تذهب يا لوغان؟».

وقرر لوغان الذهاب.. بكل سرور، وهز رأسه قبل أن يخرج من

المطعم بحثاً عن دارسي. لم يلزمه وقت طويل ليجدها، فهي لم تبتعد كثيراً. كانت تستند إلى الجدار في الخارج، وجسمها النحيل ينتفض بنحيب بائس.

لم يعد لدى لوغان شك في أن مارغريت فرايزر هي سبب هذه الدموع البائسة..! لكن كيف؟ كيف يستطيع.. كيف يستطيع! ومع تلك المرأة الفظيعة أيضاً!

أوه.. إن ماغريت فرايزر جميلة بما يكفي.. لكنها تزوجت مرتين، وأعلنت خطوبتها على رجال آخرين مرات عديدة.. فكيف يمكن أن يفكر بالزواج..؟

ـ دارسي..؟

جمدت دارسي لسماع صوت لوغان خلفها.. كانت متكدرة جداً حين خرجت كالعاصفة من المطعم بحيث أنها لم تلاحظه..

مسحت الدموع بسرعة عن خديها قبل أن تستدير لتواجهه.

حيّته مرتجفة: «سيد ماكنزي».

ولم تتمكن من مواجهة نظرته الثاقبة.

التوى فمه دون مرح، وقال مشفقاً: «يبدو أن هذه الليلة ليست جيدة بالنسبة لك، أليس كذلك؟».

لقد ظنت أن الخلاف معه في المطعم كان سيئاً بما يكفي، لكن الحديث في المطبخ، والذي تبعه، كان أكثر سوءاً.. ثم أن تواجه وجهاً لوجه تلك المرأة وهي تخرج..!

أعطاها لوغان منديلاً ناصع البياض، وقال يشجعها بلطف: «هاك».

ابتسمت دامعة: «لقد أعدت لك لتوي آخر منديل أعرتني إياه».

ولم تأخذ المنديل.

ـ لقد تركته في المطعم.. لا تهتمي.. ابن خالتي سيعيده إلي فيما بعد.

إذن، الرجل الآخر هو ابن خالته.. وهذا يفسر الشبه بينهما. تابع

لوغان وهو يعطيها المنديل: «خذيه دارسي.. وامسحي الكحل عن عينيك».

أخذت دارسي المنديل وهي تتمتم بالشكر، ومسحت عينيها بخجل.. قبل أن تتذكر أنها لم تكن تضع كحلاً، وأنها لا تضع أي نوع من التبرج هذا المساء، فالحرارة في المطبخ تفسد المساحيق!

ردت بابتسامة مؤنبة: «مضحك جداً».

هز رأسه راضياً عن ابتسامتها: «هكذا أفضل.. أنا واثق أن الأمر مهما كان، ليس بهذا السوء..؟».

وأحنى رأسه يبتسم لها ممازحاً.

تلاشى مرح دارسي، وقالت بإحساس متجهم:

ـ بل أسوأ.

وهزت رأسها مجدداً بتعبير متعب.

أمال لوغان رأسه، وارتفع حاجباه الأسودان: «هل تريدين أن تتكلمي عن الأمر؟».

قد يكون من الرائع مناقشة المسألة مع شخص آخر.. لكن هل لوغان ماكنزي، الرجل الذي بالكاد تعرفه، هو الشخص المناسب..؟

على الأرجح لا، لكنها بحاجة للتكلم مع أحد وعلى الفور قبل أن تنفجر! لأنها لا تنوي أبداً العودة إلى المطعم هذا المساء. تنهدت بثقل، ووصلت إلى قرار: «هل تود شرب فنجان من القهوة؟».

تظاهر لوغان أنه يترنح من الصدمة: «دارسي.. هذا مفاجيء جداً».

ـ قلت القهوة يا لوغان.. أوه.. سيد ماكنزي.

رد عليها، وقد بدا واضحاً أنه يوافقها الرأي: «لوغان تكفي».

ـ وكنت سأقترح أن نذهب إلى مقهى، وليس إلى منزلي!

نظر لوغان إلى ثياب السهرة: «أليس في ملابسي مبالغة لدخول

مقهى؟».

بالطبع هو كذلك.. أدركت دارسي هذا متأخرة.. لكن الذهاب إلى منزلها مستحيل. فبعد الاتهامات التي سمعتها في المطبخ، آخر شيء تحتاجه هو أن يعود دانيال سيمون إلى البيت ليجدها هناك مع لوغان ماكنزي!

قال لوغان مقترحاً: «نستطيع الذهاب إلى شقتي».

وضاقت عيناه، عندما قرأ بعض التردد على وجهها.. إذ لم يكن هناك سبب للتردد!

الذهاب إلى شقته..! قالت بحدة: «أنا واثقة من أنك لن تهتم بسماع كل هذا.. وأعتقد أنه من الأفضل أن أذهب إلى البيت وأنام.. كانت أمي تقول لي دائماً إن الأشياء لا تبدو كئيبة جداً في الصباح».

رد لوغان بجفاء: «ولطالما قالت لي مربيتي إن مشاطرة المشاكل تخفف من حدتها».

ولاحظت دارسي أنه قال «مربيتي» وليس «أمي».. لكنه على أي حال متحدر من عائلة من النوع الذي تعتني المربيات بالأولاد فيها. مع ذلك، كان الأمر حزيناً على ما يبدو، إذ كانت علاقة لوغان بمربيته أقرب من علاقته بأمه. فقد كانت دارسي في طفولتها مدللة محبوبة وكانت أمها موجودة دائماً لأجلها، وماتت منذ أكثر من سنة، ولا تزال دارسي تفتقدها.

قالت بصوت أجش: «ربما.. لكن أمي حذرتني كذلك من مخاطر الذهاب مع رجل لا أعرفه حق المعرفة!».

رد لوغان متشدقاً: «ومربيتي حذرتني من أشياء تخص النساء».

وأمسك ذراعها بحزم، ونادى سيارة أجرة وأكمل:

ـ لكنني سأخاطر إذا كنت مستعدة للمخاطرة!.

للمرة الثانية في فترة تعارفهما.. وبالرغم منها، ضحكت دارسي.

جمد لوغان وهو يساعدها لتدخل سيارة الأجرة.

ـ أعتقد أنني طلبت منك ألا تفعلي هذا.

رمشت دارسي بعينيها بذهول، وهزت رأسها: «أنا لا أفهم..».

رد لوغان بحدة: «لا تهتمي».

وصعد إلى السيارة ليجلس إلى جانبها قبل أن يميل إلى الأمام ويعطي العنوان للسائق.

ماذا لو تبين لها أن تحذيرات أمها كانت صحيحة؟ ماذا لو..؟

فجأة قال لوغان بخشونة وهو يستدير لينظر إليها بعينين زرقاوين باردتين:

ـ هل أبدو كرجل يجر البريئات الصغيرات إلى شقته كي يغويهن؟.

امتلأت عينا دارسي فوراً بالدموع.. فقد بدا لطيفاً جداً قبل الآن.. وها هو..

استدار نحوها تماماً، وقال: «أنا آسف دارسي.. لقد انقلبت هذه الأمسية إلى مأساة بالنسبة لي، لكن هذا ليس سبباً يدعوني للانتقام منك! هل تسامحيني؟».

وأمسك إحدى يديها بكلتي يديه.

وجدت دارسي نفسها ترتجف. للمرة الأولى في حياتها تجد نفسها منجذبة إلى رجل..!

انتزعت يدها منه، إلا أن ذلك الإحساس استمر يدغدغها..

ردت بحدة: «طبعاً أسامحك.. لكن ربما هذه ليست فكرة جيدة، وأنا واثقة من أنني أخذت ما يكفي من وقتك لليلة واحدة».

توقفت سيارة الأجرة أمام مبنى ضخم. وبعد أن دفع الأجرة للسائق، أمسك ذراعها بحزم وقادها إلى الداخل.

لم تكن الفخامة أمراً غريباً عليها، فمنزلها مريح وكذلك المنازل التي تزورها خلال العمل لحساب الشيف سيمون لكن هذا المبنى حيث يعيش

لوغان مختلف.

كانت تتوقع رؤية ديكور حديث، إلا أنها وجدت نفسها في غرفة جلوس مريحة تزيّن اللوحات جدرانها.

لفتت انتباه دارسي إحدى اللوحات التي تجسّد غزالاً يرعى في غابة وقصراً يبدو ضبابياً في الخلف، فتنهدت قائلة: «لوحة لماك اليستر» بعد أن تعرفت إلى الفنان.. لا داعي لأن تسأل عما إذا كانت أصلية، لأنها تشك في أن يتساهل لوغان ماكنزي بمثل هذا الأمر في منزله.

هز رأسه موافقاً: «هذا منزل جدي.. هل أحضر لك شراباً؟».

كانت دارسي لا تزال مذهولة لمعرفتها أن هذا القصر هو لجد هذا الرجل..

قالت: «عصير لو سمحت!».

ابتسم لوغان وهو يصب السائل في الكأس.

ـ طلبك سيعجب جدي كثيراً. فهو يؤمن أن المرء لا يمكنه أن يثق بامرأة تشرب غير العصير!

وأعطاها الكأس.

ـ دعينا نجلس.

كانا لوحدهما في خلوة منزله.. وإذا ما اضطرت إلى طلب النجدة أو الصراخ فلن يسمعها أحد.

قال لوغان: «والآن، هل تشعرين برغبة في إخباري ماذا جرى قبل قليل؟».

أخذت رشفة من العصير، وردت بغضب: «تلك المرأة!».

ـ مارغريت فرايزر؟

رفعت دارسي رأسها بحدة: «أجل.. هل رأيتها؟».

رفع حاجبيه السوداوين: «وهل يستطيع المرء ألاّ يلاحظ وجود الممثلة

مارغريت فرايزر الشهيرة».

ردت: «إنها القصة كلها!».

هز لوغان رأسه، وابتسم قليلاً: «لم أفهم».

تنهدت دارسي بعمق: «الأمر بسيط جداً.. في الواقع.. دانيال سيمون.. الشيف سيمون..».

ـ أعرف من هو دانيال سيمون يا دارسي.

ـ سيتزوجها!

لقد اعترفت بهذا حقاً لكنها ما زالت ترفض الفكرة أكثر مما كانت بالأمس حين عرفت بالخطوبة.

سألها لوغان وهو يميل في مقعده إلى الأمام: «يتزوج من؟».

ردت بازدراء: «مارغريت فرايزر بالطبع!».

قال لوغان غير مصدق: «لا يمكن أن تكوني جادة؟».

ـ هذا بالضبط ما قلته حين أخبرني.. لكن يبدو أنه جاد.

ـ لكنني.. إنها..

تابعت دارسي وهي تقف لتذرع الغرفة: «أمر لا يصدق.. أليس كذلك؟ لقد التقى بها منذ ثلاثة أسابيع فقط، مع ذلك قرر أن يتزوجها!».

ردد لوغان مفكراً: «ثلاثة أسابيع..».

أكملت دارسي: «أمر سخيف أليس كذلك؟ كيف يمكن للمرء أن يقرر بعد ثلاثة أسابيع فقط من تعرفه على الشخص الآخر أنه يريد قضاء ما تبقى من حياته معه؟».

ـ أعتقد أن هذا يحدث أحياناً.. مع أنني مندهش قليلاً.. دارسي، هل أنت واثقة تماماً من هذه الوقائع؟

وراقبها بعينين ضيقتين: «بالتأكيد.. وإلا لماذا تظن أنها جاءت إلى المطعم هذا المساء؟».

ـ للسبب الذي يأتي الجميع لأجله..

ـ وهذا أمر آخر، فما تأكله هذه المرأة بالكاد يكفي لإشباع عصفور.. وهذه دعاية جيدة لزوجة طاه شهير!

التوى فم لوغان: «أعتقد أنها مضطرة للحفاظ على شكلها الرائع بطريقة ما».

نظرت إليه بحدة: «لا تقل لي إنك تجدها جذابة؟».

رد لوغان: «لا.. لكن قلة من الرجال لا تتأثر بسحرها».

ووقف لوغان ليصب لنفسه كأس عصير آخر ثم قال بحذر: «أخبريني دارسي. إذا كان دانيال سيمون سيتزوج مارغريت فرايزر، ماذا سيحل بك؟».

تنهدت بثقل: «سأضطر إلى ترك المنزل، بالطبع..».

قاطعها بصوت أجش: «وهل تعيشين معه؟».

ـ منذ شهرين فقط. منذ أنهيت الجامعة.. ولم أكن أنوي البقاء بصورة دائمة.. مجرد مكان لأقيم فيه حتى استلم مركزاً ثابتاً في شهر أيلول.

قطب لوغان: «لكنني اعتقدت أنك تعملين لحساب الشيف».

ـ بشكل مؤقت.. فأنا... معلمة أطفال.

صمت لوغان قليلاً، ثم اعترف: «أجد صعوبة في فهم كل هذا..».

ابتسمت دارسي بإشفاق: «أعمل مع الشيف سيمون في العطلة فقط. لا تقلق، لقد تدربت كطاهية أولاً، قبل أن أدرك أنني أحب العمل مع الأولاد أكثر من إطعام الكبار. فعدت إلى الجامعة لأحصل على المؤهلات المناسبة».

زاد عبوس لوغان: «كم عمرك..؟».

ـ خمسة وعشرون عاماً.

وعرفت أن لوغان ظنها أصغر سناً بكثير كما يظن الكثيرون. كانت واثقة من أن هذا سيكون ميزة لها حين تكبر، لكنه يمنع الناس الآن من

النظر إليها بجدية.

بدا حزيناً: «إذن دارسي أنت كبيرة بما يكفي لتكوني أكثر حكمة، أعرف أن هذا ليس سهلاً بالنسبة إليك، لكن ماذا تفعلين مع الرجل إذا كان قد قال لك إنه سيتزوج غيرك؟».

قالت دارسي بارتباك: «لكنه لم يتزوجها بعد..».

اتهمها بغضب: «وأنت تنوين البقاء بقربه إلى أن يتزوجها؟».

ووضع الكأس من يده ثم سار إلى حيث تقف، وأمسك كتفيها.

أكدت له بعناد: «طبعاً.. لن يكون العرس قريباً، وقد أتمكن من إقناعه أن يتعقل».

تأوه لوغان: «دارسي أنت شابة جذابة و..».

عارضته: «لكنني لست من مستوى مارغريت فرايزر».

ـ أوه.. اللعنة على مارغريت فرايزر.

احمرت عيناها الرماديتان: «هذه هي مشاعري بالضبط!».

تمتم: «أوه.. دارسي».

وانحنى يعانقها.

وكان آخر ما توقعته دارسي.. هو أن تقف مذعنة بين ذراعيه.

وتصاعدت المشاعر، وتحول غضب دارسي إلى حرارة لم تكن تعرف أنها تمتلكها، ووضعت يديها على كتفيه لتغرق في دفئه.

لكن كل ذلك توقف فجأة عندما ابتعد لوغان عنها.. ونظر إليها، وكأنه مشوش: «ماذا أفعل؟ آسف دارسي».

وابتعدت ذراعاه عنها وراح يمرر أصابعه في شعره، وبدت كتفاه مقوّستين تحت السترة.

ـ لم أكن أقصد أن أفعل هذا.

واستدار بعيداً: «جئت بك إلى هنا لمحاولة مساعدتك.. وبدلاً من

ذلك كاد الأمر ينتهي بي إلى إغوائك.. أنا فقط.. هذا الرجل يكاد يكون في سنّ والدك بحق الله..!».

أخذت دارسي نفساً عميقاً، وقطبت بحيرة: «أي رجل؟».

قال بعدوانية: «دانيال سيمون!».

ابتلعت ريقها بقسوة: «أنا..».

وحاولت أن تفكر، وأن تتذكر ما سبق وقيل: «لوغان.. لست أدري.. يبدو أنني لم أشرح.. لوغان.. دانيال سيمون هو والدي».

قبل وفاة أمها جرّاء مرض عضال، كانت تربط والديها علاقة حب متينة.

ولهذا السبب كانت دارسي متكدرة جداً. كيف ينوي والدها الزواج من الممثلة الشهيرة الفاتنة مارغريت فرايزر، من بين كل الناس. فهذه المرأة معروفة بعلاقاتها السرية التي تثير الاهتمام أكثر من مهنتها كممثلة.

ابتلعت دارسي ريقها مرة أخرى وهي ترى أن لوغان يحدق فيها، دون حراك، وقد بدا أنه أضاع الكلمات، ولم يكن من الصعب تخمين السبب.. فهو على الأرجح يعتقد أن تصرفها أناني متطرف. وقد يكون كذلك.. وتقبلته دارسي. لكنها لم تستطع مقاومة ما تشعر به.

* * *

٤ ـ الحقيقة القاسية

دانيال سيمون هو والد دارسي.. وليس العشيق الذي ظنه لوغان.

هذه أخبار مفاجئة للوغان. الآن اتضح له ما كان فيرغوس ينوي أن يحدثه عنه.

بدأت دارسي تتكلم بارتباك: «أعرف أنك تعتبر تصرفي أنانياً.. لكنّ أمي ماتت منذ أكثر من سنة بقليل. لقد استمر زواجهما ثماني وعشرين سنة..! وكنا عائلة سعيدة، ولا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لأبي أن يحب امرأة أخرى بعد وقت قصير كهذا.

والدها..

كلما قالت دارسي هذا، كان لوغان يجفل من داخله بسبب اعتقاده السابق أن دراسي على علاقة غرامية بالشيف سيمون.. لم تقل له دارسي اسم عائلتها أبداً.. وهو لم يسألها، ولم يسبق لها أن خاطبت دانيال سيمون على أنه والدها.. أو نادته أبي!

ولكن.. كيف سيقول الآن لدارسي..؟

قالت فجأة، دون أن تلتقي نظرتها بنظرته: «أظن أنه من الأفضل أن أذهب.. لقد أخذت حقاً ما يكفي من وقتك».

أمسك ذراعها وهي تستدير لتبتعد: «دارسي!».

وسبحت العينان الرماديتان العميقتان بالدموع: «أعرف أنني كنت أنانية.. لكنني فقط.. لا أستطيع أن أتصور تلك المرأة كزوجة لأبي!».

وبكت بعاطفة جياشة.

ضمها لوغان بلطف بين ذراعيه، يحتضنها على صدره والدموع تنهمر على خديها.

يبدو أنه اعتاد على هذا! ولم يكن يتذمر.. لكنه لا يحب أن يرى يا دارسي متكدرة هكذا.. ولو أن بكاءها أفضل له من ابتسامتها التي تخطف أنفاسه.

قال لها برقة: «أعرف أنني لن أستطيع أن أواسيك الآن دارسي.. لكنني أشك كثيراً في أن تصبح مارغريت فرايزر زوجة أبيك!».

استقامت دارسي ومسحت دموعها: «والدي مصمم على الزواج بها».

هز لوغان رأسه: «وأنا واثق تماماً من أنها لن تصبح زوجة أبيك».

اتسعت العينان الرماديتان المحمرتان، وابتلعت دارسي ريقها: «لكن، كيف لك أن تكون متأكداً».

بدا جاداً: «صدقيني..».

وصمت عندما سمع رنين الهاتف الداخلي.

بعد الطريقة الفجائية التي قطعت فيها أمسيته في المطعم، من المحتمل أن يكون الزائر فيرغوس.. وابن خالته هو آخر شخص يريد لوغان أن يراه في هذه اللحظات. حسن جداً.. ربما ليس آخر شخص.. فمارغريت فرايزر هي أحقّ بهذا.

سألت دارسي: «ألا يجب أن ترد؟». ومسحت كل آثار الدموع بارتباك.

اعترف على مضض: «أجل.. يجب أن أفعل».

كان لا يزال يحتاج إلى وقت وفرصة ليتحدث إلى دارسي، ويشرح لها. لكن الوقت الآن لم يكن مناسباً بكل تأكيد، ولو صعد فيرغوس بينما دارسي لا تزال هنا، فقد يقول شيئاً يجب ألاّ يقوله..!

ووجد نفسه يسأل بسرعة: «دارسي، هل يمكن أن تتناولي الغداء معي غداً؟».

نظرت إليه متسائلة: «ولماذا؟».

ارتفع حاجباه بنفاد صبر: «لأنني أريد تناول الغداء معك».

ـ ولماذا؟

ـ يا إلهي يا امرأة.. قولي نعم أو لا.. فقط.

بدأت تقول ببطء: «إذا كنت تدعوني لمجرد أنك تشعر بالأسف علي..».

قاطعها بحدة: «أنا لا أشعر بالأسف عليك».

على الأقل حتى الآن.. أما إذا أصبحت مارغريت فرايزر يوماً زوجة أبيها، فسيصبح لديه سبب ليغير رأيه!

قال بحزم وهو يعرف أن صبر فيرغوس سينفد لطول انتظاره.

ـ يجب أن أتكلم معك.

بدا على ثغرها طيف ابتسامة: «حسن جداً».

ما إن خرج لوغان من المصعد برفقة دارسي حتى رمقه فيرغوس بنظرة انتقاد بارد، لأنه تركه ينتظر، قال لوغان فيما كان فيرغوس يحاول التكلم: «سأعود بعد لحظة».

لاحظ أن فيرغوس يحمل اللفافة معه.. وسوف يحل هذه المسألة مع دارسي غداً.

ـ سوف أطلب لدارسي سيارة أجرة.

وخرج من المبنى ودارسي إلى جانبه قبل أن تتاح لابن خالته الفرصة لكي يرد.

استدارت دارسي إليه قبل أن تدخل سيارة الأجرة، وقالت بخجل: «لقد كنت لطيفاً جداً.. حقاً».

بالنسبة للعديد من الناس لا يمكن وصف لوغان بهذه الميزة.. لكن، إذا كانت دارسي تراه هكذا، فهو لن يجادلها!

وذكرها: «الغداء غداً.. الثانية عشرة والنصف.. في مطعم «رومابن».. إنه..».

ـ أعرف أين هو.

ومدت يدها تصافحه: «شكراً لك مرة أخرى».

وقف لوغان يراقب السيارة حتى اختفت عند زاوية الشارع، ثم استدار ليعود إلى المبنى.

قال فيرغوس معلقاً وهو يلحق بلوغان إلى المصعد: «فتاة لطيفة المظهر».

نظر إليه لوغان بجفاء: «إنها ابنة دانيال سيمون.. لكنك تعرف هذا.. أليس كذلك؟». تنهد فيرغوس ثم ألقى طوله الفارع على مقعد وثير: «نعم.. أعرف هذا.. بالمناسبة، هذه لك».

وأعطاه اللفافة وهو يقول: «لم نأكل شيئاً هذا المساء!».

توصل لوغان إلى قرار: «تعال.. سأطهو لنا بيضاً مقلياً.. ثم تخبرني بالتفصيل بما يجري!».

لم يستغرق تحضير البيض المقلي والسلطة سوى دقائق. وجلس الرجلان إلى مائدة الطعام في المطبخ.

نظر لوغان شزراً إلى ابن خالته: «هل أنا على صواب في افتراضي أن زيارتك الأخيرة لجدنا سببها أن أمي على وشك أن تعلن خطوبتها على الطاهي دانيال سيمون؟».

والدته؟ مارغريت فرايزر؟

إن الأمر صعب التصديق، حتى أنه هو نفسه يكاد لا يصدقه في معظم الأوقات.

لقد أصيب بالذهول حين أخبرته دارسي أن والدها ينوي الزواج من الممثلة الجميلة.. هو وأمه لم يكونا يوماً مقربين. لكن في الماضي كانت تعلمه بخطوبتها أو زواجها.. إلاّ أن لوغان فوجىء هذه المرة تماماً.. لعلّ دارسي أساءت فهم صمته، لذا سيشرح لها في الغد حين يلتقيان للغداء.

أكد له فيرغوس متنهداً مرة أخرى: «هذا صحيح.. يبدو أنها أبلغته بذلك حين زارته في عطلة الأسبوع».

ـ ولأننا كنا دائماً مقربين.. اختاروك لتزف الخبر لي.

هز ابن خالته كتفيه: «في العادة، كانت الخالة ميغ تقول لك بنفسها. لكن هذه المرّة، يبدو أن هناك.. تعقيدات».

أكد لوغان على كلامه: «دارسي».

ـ أجل.. دارسي.. يبدو أنها ليست متحمسة كثيراً لانضمام الخالة ميغ إلى عائلتها.

صاح لوغان: «ولن أكون متحمساً جداً لانضمامها إلى عائلتي كذلك!».

استدار فيرغوس لينظر إليه نظرة جادة: «أنت تعرف أنني لم أحاول يوماً التدخل في علاقتك مع الخالة ميغ..».

حذره لوغان بصوت منخفض: «إذن، لا تبدأ الآن».

ـ ولا أنوي هذا.

نظر إليه لوغان بارتياب: «لا؟».

أكد فيرغوس بخفة: «لا».

وارتشف قليلاً من المرطب الذي قدمه لوغان مع الطعام، وأكمل: «أولاً، لأن لا داعي لهذا.. فمشاعرك في هذا الخصوص هي من شأنك، ثانياً.. لأنني أؤمن أن هناك أمراً أكثر إلحاحاً لنناقشه».

ارتفع حاجبا لوغان الأسودان: «مثل ماذا؟».

ـ كيف ستتمكن مثلاً من إخبار دارسي أنك ابن مارغريت فرايزر، دون أن ترفض رؤيتك بعد ذلك.

وكان لوغان قد تساءل بنفسه عن هذا!

وأكمل فيرغوس: «أظن أن دارسي ليس لديها فكرة عن هذا.. أليس كذلك؟».

كان يجدر بلوغان أن يقول لدارسي الحقيقة لحظة ذكرت مارغريت فرايزر. لكنه خشي أن تنظر إليه بالكراهية ذاتها التي تنظر فيها إلى أمه، وهو لا يريد ذلك. والآن أمامه أقل من أربع وعشرين ساعة للتفكير بطريقة يقول فيها الحقيقة لدارسي..

في اليوم التالي تأخرت دارسي وأملت أن يمل لوغان من الانتظار ويغادر المطعم! فبعد الصباح الذي مرّ بها لم تكن تشعر برغبة في هذا اللقاء!

كانت على ما يرام حين استيقظت في الساعة التاسعة صباحاً. لكنها سرعان ما تواجهت مع والدها، فقد أخبرته مارغريت فرايزر بما وجهته إليها من كلام وهي تغادر المطعم ليلة أمس، ما أثار سخط والدها وأشعل جدالاً بينهما. قالت دارسي لوالدها في نهايته إنها ستفتش عن شقة تسكن فيها ذلك اليوم بالذات.

كان تفكيرها بما حصل صباحاً يسبب لها التعاسة، فهي لا تذكر أنها قد تشاجرت مع والدها قبل هذين اليومين الأخيرين، وبالنسبة لها، كل هذا كان بسبب مارغريت فرايزر!

لكن تأخرها لم يكن بسبب جدالها مع والدها فقط، بل لأنها أخذت وقتها لترتدي فستاناً كحلياً يناسب جسمها استعداداً للانضمام إلى لوغان على الغداء.

بدا لوغان وسيماً في بذلته الرمادية، وإذا لم تكن مخطئة، كان يرتدي القميص الأبيض الذي أرسلته له يوم أمس..

وقف حين رآها، ولاحظت دارسي عدة نساء يستدرن في اتجاههما وهو يقف.. وما من شك في أن هؤلاء النسوة كن يتساءلن، كما تساءلت هي ليلة أمس، عن التي ستنضم إلى هذا الرجل الجذاب للغداء.. وشكت في أن تكون إحداهن قد توقعت أن يكون مهتماً بفأرة صغيرة مثلها!

حيّاها لوغان بحرارة: «دارسي!».

وأشار إلى الساقي ليصب لها العصير الذي سبق وطلبه وهو ينتظر وصولها، وسأل: «هل أنت مضطرة للعمل بعد ظهر اليوم؟».

ردت بمرارة: «أنا الآن، في استراحة».

نظر إليها بحدة: «ما كنت لأعرف هذا».

ـ ولا والدي.. لكن لدي إحساس أنه حين سيتزوج مارغريت فرايزر، سيعرف مثل هذه الأمور بسرعة!

رد لوغان: «ألا يجب أن تقولي «لو» تزوجها؟».

تمتمت دارسي بمرارة: «ليس حسب اعتقاد أبي».

ـ أما عدتِ تعملين عند والدك؟

ـ لقد قررنا أن نفترق كل في طريقه.. فعلى الأرجح هذا هو الأفضل.

ثم تابعت: «قميص جميل».

ـ اللعنة على القميص.. لا.. لم أكن أعني ما قلته بالضبط. إنه قميص جميل.. ولا أعتقد أنني شكرتك لأجله.

هزت رأسها: «على الرحب والسعة. ما الذي جعلك تغير رأيك وتحتفظ به؟».

والتقطت لائحة الطعام وبدأت تتطلع إلى أصناف الطعام المسجلة عليها.

رد بهدوء: «لأنك تحملت عناء شرائه».

ـ فهمت.

ـ دارسي . .

نظرت إليه من فوق لائحة الطعام: «هل جربت طبق «اللازانيا» هنا؟ أعتقد أنه لذيذ».

ـ دارسي . . أنا أحاول أن أتكلم معك.

رفعت حاجبين بنيين: «ظننتك دعوتني للغداء؟».

رد بحدة: «هذا صحيح . . لأننا يجب أن نتكلم».

أغلقت لائحة الطعام، ووضعتها على الطاولة . . ثم قالت متفهمة: «ولا نأكل . . هيا . . تكلم».

صمت لوغان، ثم قال: «تبدين اليوم مختلفة . .».

ردت بالصوت المتوتر ذاته: «حقاً؟ ربما لأنني . . متكدرة قليلاً . . ولأنني ووالدي قد تخاصمنا بسبب قراره الزواج من امرأة لا أستطيع حتى أن أعجب بها!».

وتهدج صوتها وأحست بانزعاج داخلي. لقد سئمت من ظهورها كامرأة غير ناضجة ومن انفعالها أمام هذا الرجل . . في الواقع، كانت قد سئمت أكثر من اللازم!

قال لوغان بلطف: «سيجري كل شيء على ما يرام يا دارسي».

ومد يده ليضعها على يدها.

نظرت إليه بعينين رماديتين باردتين: «تبدو واثقاً جداً من هذا؟».

ـ أنا واثق.

ـ وكيف ذلك؟

ضغطت يده على يدها قليلاً: «لأنني . .».

ووقف النادل مترقباً إلى جانب الطاولة: «هل لي أن أسجل طلباتكما الآن؟».

ـ لا . . أنت . .

وقطع لوغان رده الغاضب، وأخذ نفساً عميقاً مهدئاً، قبل أن يستدير إلى دارسي: «هل أنت جاهزة لطلب الطعام؟».

ابتسمت للنادل كي تصلح غلطة لوغان: «لازانيا وسلطة من فضلك». لكنها لم تكن واثقة من أنها سوف تبقى في المطعم طويلاً لكي تأكلها!

قال لوغان: «سأطلب الطبق نفسه».

ـ هل تريدان الماء مع الطعام . . ؟

قاطعه لوغان بخشونة: «لا . . لا نريد».

ابتسمت دارسي مجدداً للشاب: «شكراً لك». وتلقت ابتسامة امتنان رداً عليها قبل أن يتجه نحو المطبخ.

أزاح لوغان يده عن يدها، وقال بصوت أجش: «أدرك أنك وحتى ساعات مضت كنت نادلة . . لكن هل يجب أن تكوني لطيفة مع الخدم هنا؟».

لمعت عيناها للنقد اللاذع، بحيث بدتا بلون الفضة: «الأخلاق الحميدة لا تكلفك شيئاً . . إضافة إلى هذا، لماذا أفسد عليه يومه، إذا كان يومي سيئاً؟».

ثم سألت فجأة: «لوغان . . ماذا تريد مني بالضبط؟».

أجفل لوغان للسؤال . . ونظر إليها بقلق: «ماذا تعنين؟».

ظهر على وجهها تعبير مرير: «توقف عن معاملتي وكأنني حمقاء يا لوغان. أعني . . ماذا تريد مني يا ابن مارغريت فرايزر؟». ولمع التحدي في عينيها مرة أخرى.

لم تستطع أن تصدق حين قال لها والدها هذا الصباح، من هو لوغان ماكنزي، وطلب معرفة ماذا يخططان معاً.

لوغان ماكنزي هو ابن تلك . . تلك المرأة؟

وبقدر ما بدا الأمر صعب التصديق بالنسبة لها، عرفت أنه واقع لا

يمكن إنكاره. لكن الممثلة بالكاد تبدو في الثلاثينات من عمرها، ومع ذلك لها ولد في أواسط الثلاثين، وولدها هو لوغان ماكنزي.

لقد ظنته بالأمس متفهماً جداً.. حتى أنها ظنته لطيفاً معها! لكنها الآن تدرك أن للوغان أسبابه ليكون لطيفاً معها.. وهذه الأسباب تشمل أمه!

أحست أنها غبية جداً حين فكرت بكل ما قاله لها، وكل الأشياء التي أسرت بها له. وتملكتها مشاعر الغضب. ولهذا السبب قررت أن تلتقيه على الغداء اليوم، فهي تريد أن تخبره رأيها به بالضبط!

أخذ لوغان نفساً متهدجاً، واعترف: «لست واثقاً من أنني أعرف ماذا سأقول».

سألت بشموخ: «لماذا لم تقل الحقيقة منذ البداية؟ لم يكن لدي فكرة، لكن أؤكد لك، أنه مهما كان السبب، فقد فشلت فشلاً ذريعاً.. ولا شيء تفعله أو تقوله يمكن أن يقنعني بأن أتقبل زواج أمك من أبي!».

كانت الآن غاضبة من لوغان ماكنزي أكثر من غضبها من والدها. فعلى الأقل، كان والدها صادقاً معها.

قطب لوغان بشدة: «أؤكد لك أنني لست راضياً عن زواجهما أكثر منك.. ولم يكن لدي فكرة عن ذلك قبل أن تخبريني أنت عن خطتهما تلك».

لم تصدقه.. لا بد أنه يخوض معركة لصالح أمه. ثم، لو كان ما يدعيه صحيحاً، لوجد أمامه الكثير من الفرص ليقول لها الحقيقة عن علاقته بمارغريت فرايزر، بعد أن عرف بأمر الخطوبة. ثم تذكرت تأكيده على أن الزواج بين العجوزين لن يتم أبداً.

فردت فجأة: «والدي ليس جيداً بما يكفي لأمك.. أليس كذلك؟ من تظن نفسك بالضبط؟ أو بالأحرى من تظن أمك؟ فهي بالنسبة لي ليست أكثر من..».

قاطعها بصوت بارد كالثلج: «دارسي! ليس هناك ما تقولينه عن أمي».

حدقت دارسي فيه: «لا بد أنك تقضي معظم حياتك تجادل الناس. أنا لم ألتق بشخص واحد بعد لديه شيء لطيف يقوله عن أمك!».

التوى فم لوغان: «ما عدا والدك.. بالطبع».

قالت مدافعة: «إنه مسلوب اللب.. مصروع بالسحر الذي يحيط بها».

وهزت رأسها: «وأرجو أن يعود إلى عقله قبل أن يفعل شيئاً غبياً.. كأن يتزوجها!».

قال لوغان متجهماً: «أوه.. سيعود إلى رشده».

لمعت عيناها غضباً: «لا أعرف من الذي أحتقره أكثر.. أنت أم أمك!».

ووقفت لتغادر.

امتدت يد لوغان تمسك معصمها بقوة آلمتها وهي تحاول السير مبتعدة، ونظر إليها بعينين زرقاوين قاتمتين.

ـ دارسي.. أنا إلى جانبك..

أمرته ببرود: «دعني أذهب يا لوغان». ونظرت إلى حيث أحاطت أصابعه بمعصمها النحيل.

قال متحدياً: «وإذا لم أدعك؟».

التفتت إلى وجهه المتعجرف الخشن، وارتفع ذقنها تحدياً ثم ردّت: «إذن سأضطر إلى ركلك».

راقبته دارسي وفهمت أنه يعتبر هذا تصرفاً طفولياً منها.

فوجدت في ذلك فرصة لتنفذ تهديدها، فأرجعت ساقها إلى الخلف ثم ركلت ساقه بكل الغضب المعتمر في داخلها.

صاح لوغان بسبب الألم الذي أصابه في ساقه! لكن، كان لتصرفها هذا

التأثير المطلوب، فترك معصمها، ليتلمسّ يده بطريقة غريزية ساقه المتألمة.

قالت له بابتسامة وقحة راضية: «وداعاً لوغان».

واستدارت على عقبيها لتسير عبر المطعم، غير مهتمة بالنظرات الفضولية المتجهة نحوها، حيث لاحظ جميع من في المطعم تلك المواجهة.. الأمر الذي لم يكن عجيباً، بعد أن صاح لوغان فعلاً من الألم!

دام إحساسها بالرضى إلى أن خرجت، وطلبت سيارة أجرة. لكن حين سألها السائق إلى أين تريد الذهاب، تلاشى هذا الإحساس. والسبب، أنها هذا الصباح.. وبعد أن قالت لوالدها إنها سترحل من منزلهما.. لم يكن لديها مكان آخر تذهب إليه..

***

٥ ـ هذا ما أردتِه

كان لوغان قد عاد من المطعم منذ وقت قصير، عندما وصل ابن خالته فيرغوس الى مكتبه، فأبلغه: «لا تريد رؤيتي!».

بقي فيرغوس مسترخياً تماماً وهو يجلس قبالة لوغان.. وقال ساخراً: «أرى أنك عالجت الموقف بحنكتك وديبلوماسيتك المعتادين».

عبس لوغان وهو يتذكر غضب دارسي.. في الحقيقة، لم تتح له فرصة التصرف بحنكة أو دبلوماسية.. وكيف يمكنه ذلك ودارسي كانت تعرف جيداً من هو حين انضمت إليه للغداء؟

كان يعتقد أنه سيتسنى له أن يقول لها الحقيقة بنفسه. لكن، كان يجب أن يخطر بباله أن والدها قد يخبرها بذلك قبل أن يلتقيا!

تطلع إلى فيرغوس: «لم تتح لي فرصة معالجة أي شيء.. لا بد أن والدها قال لها إنني ابن مارغريت فرايزر!».

ضحك فيرغوس وهز رأسه: «مسكين لوغان».

كان لوغان بحاجة لأن يكلم أحداً لذلك أخبر فيرغوس ما جرى في المطعم بالضبط. وأنهى كلامه غير مصدق: «ثم ركلتني!».

تمالك فيرغوس نفسه بما يكفي ليسأل مختنقاً: «وهل ركلتك حقاً؟ وسط المطعم؟».

رد لوغان بإيجاز: «بل وسط ساقي.. نعم لقد ركلتني.. وأحمل كدمة تؤكد هذا!».

قال فيرغوس: «هل لي أن ألقي نظرة.. لا.. ربما لا». فقد رأى أن لوغان ينظر إليه بغضب.

ـ أعتقد أنني معجب بدارسي.

كان لا يزال يتذكر عناقهما حين ضمها في الأمسية السابقة..

«إنسَ الأمر لوغان»، وبخ نفسه بعناد. هناك تعقيدات كثيرة تحول دون انجذابه إلى دارسي سيمون.. وهو ينوي معالجتها في أقرب فرصة.

بدا أن فيرغوس قد خمّن بعضاً من أفكاره: «إذن.. ماذا سيحصل الآن؟».

قال لوغان باقتضاب: «اللقاء مع أمي».

بدت الدهشة على ابن خالته: «وهل سيكون هذا مفيداً؟».

ـ ربما لا.. لكنه قد يجعلني أشعر بتحسّن، فهي تتلاعب بأناس طيبين.

وصمت قليلاً ثم تابع: «ترمّل دانيال سيمون مؤخراً، ولا يحتاج إلى شخص مثل أمي لتدمر حياته».

بدا التفكير على فيرغوس: «همم.. عجباً..». في تلك اللحظة فتح الباب بعد طرقة خفيفة، فصمت فيرغوس.

وضاقت نظرة لوغان وهو يرى أمه تدخل دون إعلام مسبق إلى مكتبه..

ـ قالت لي كارين إنك تقفل الباب على نفسك مع فيرغوس.

وقف فيرغوس عند دخول خالته، ونظر مقطباً إلى لوغان وتعبيره الصارم، وقد بدا واضحاً أن هذا الأخير لا يرغب في إظهار أي ليونة.

ـ كنت في طريقي لرؤية برايس.

وتحرك ليقبل والدة لوغان بخفة على خدها ويضيف: «وداعاً خالتي ميغ.. لوغان».

تجاهل لوغان رنة التحذير في صوت ابن خالته، فهو لا ينوي إظهار الليونة والضعف تجاه أمه.

قالت الأم بحدة ونفاد صبر بعد أن أصبحا لوحدهما: «توقف عن العبوس يا لوغان».

وعلا العبوس جبينها العاجي: «أنا لا أزورك عادة في مكتبك.. لكنني جئت أطلب مشورتك..».

قال باستغراب: «تطلبين مشورتي؟». هذا ما لم يتوقعه أبداً. ولم يكن ليتوقع رؤية أمه هنا أصلاً، فهما لا يلتقيان عادة إلا صدفة. كما حدث في المطعم مساء الأمس..

نظرت إليه بتوتر وهي تجلس في المقعد الذي أخلاه فيرغوس.

ـ يبدو أنك على وفاق مع دارسي..

ـ بل كنت على وفاق مع دارسي.

فهناك كدمة على ساقه تثبت أن الوفاق أصبح من الماضي!

وأكمل: «كان هذا قبل أن تعرف أنني ابنك.. أعني قبل أن تعرف أنك أمي! الأمر سيان في مطلق الأحوال فالنتيجة أن دارسي لم تعد تنظر إليّ كصديق»..

أو حتى أي شيء آخر.. ومن المذهل أن ذلك آلمه أكثر من الكدمة على ساقه!

قالت أمه: «فهمت.. ماذا سأفعل لوغان!». وتنهدت بارتباك.

لم يستطع لوغان إخفاء دهشته.. فهذا أمر جديد بالنسبة إليه.. أمه لم تسأله من قبل عن رأيه..

سأل بخشونة: «بشأن ماذا؟».

ردت: «بشأن دارسي بالطبع. أنا واثقة من أنك تعرف بأمر خطوبتي على دانيال سيمون، والد دارسي».

قال متشدقاً: «أعتقد أن أحدهم أخبرني بذلك.. أجل».

لمعت عينا أمه غضباً: «لو أنك تظهر بعض الاهتمام بي وبحياتي، لكنت أخبرتك بنفسي! لكن بما أنك لا..». وأخذت نفساً متهدجاً.

قال لوغان متسائلاً: «أمس تصرفت وكأنك لا تعلمين من هي دارسي».

ردت أمه: «حسن جداً.. هذا صحيح فنحن لم نلتقِ من قبل.. ثم كنت أحاول فقط أن أتجنب حدوث مشكلة في المطعم.. أترى.. دارسي لا ترحب بفكرة زواج أبيها مني..».

لم يستطع لوغان مقاومة رد ساخر: «عجباً.. لماذا؟».

نظرت إليه أمه مفكرة: «أتعرف يا لوغان.. لقد كنت صبياً صغيراً جميلاً.. محباً.. ما الذي جعلك تتغير هكذا؟».

واستطاع لوغان أن يرى، من تعبير الحيرة الحقيقية الذي ظهر على وجه أمه، أنها فعلاً تريد أن تعرف..!

رد بحدة ساخرة: «إنها الحياة أمي.. حياتك».

هزت رأسها: «لا أستطيع أن أصدق أنه بعد كل تلك السنين.. لوغان، أعرف أنني ارتكبت الأخطاء في الماضي..».

ـ أخطاء؟

ووقف، ثم تحرك بنفاد صبر نحو آلة القهوة الموضوعة على طاولة جانبية، وصب لنفسه فنجاناً من السائل الأسمر الذي يتصاعد منه اللهب.

ـ توفي أبي ولم أكن كبيراً بما يكفي لكي أقول رأيي بما يجري حولي. لقد سخرت مني.

ترقرقت عينا أمه بالدموع وهي ترفعهما إليه. وبدت فجأة صغيرة جداً، وضعيفة.. أمر غريب.. لم يرها كذلك من قبل.. لا! فأمه ممثلة من الطراز الأول.. ولقد نجحت في مهنتها هذه.. على الشاشة وخارجها.

وبمثل هذه البراعة في التمثيل! لا بد أنها تخدعه بهذا الدور الآن.

قالت بصوت أجش: «أعرف أنني لم أكن تلك الأم المثالية يا لوغان، بعد موت والدك.. لكنني افتقدته كثيراً..».

قال لوغان ببرود: «وأنا افتقدته أيضاً».

ردت بارتجاف: «أعرف.. أعرف فعلاً، لكن الأمر مختلف. فأنا خسرت الرجل الذي أحببته.. أنا.. أنا.. أخطأت حين تزوجت مرة أخرى، أعرف هذا.. لكنني كنت أشعر بالوحدة.. أعرف أنه ما من شيء أقوله أو أفعله الآن يمكن أن يمحو الماضي، لكن علينا الآن أن ننظر إلى المستقبل».

سألها: «عن أي مستقبل تتكلمين يا أمي.. مستقبلك أم مستقبلي؟».

رفعت نظرها إليه، دون أن يرف لها جفن، وقالت بهدوء: «أنا أحب دانيال سيمون.. إنه أول رجل لا بل الوحيد، الذي أحببته منذ فقدت والدك، وأنا أريد أن أتزوجه».

هز لوغان كتفيه: «ما سمعته مؤخراً، يدل على أنك تنوين القيام بذلك!».

هزت رأسها: «لكن ليس من دون موافقة دارسي».

التوى فمه: «تفضل دارسي الموت على أن توافق على زواجكما».

وافقت أمه بيأس: «أعرف».

نظر لوغان إليها متفرساً.. ففي العادة، تعطي أمه انطباعاً بأنها مسيطرة تماماً على عالمها، وعلى الناس من حولها.. فهل هذه مشكلتها الآن؟

ـ يا إلهي يا أمي.. لا تقولي لي إنك لست قادرة على إقناع دانيال سيمون بطريقة تفكيرك؟

الجميع يعلم أن قلة من الرجال تستطيع مقاومة إغراء أمه وفتنتها!

هزت الأم رأسها بحزن: «أنت لا تفهم.. أليس كذلك لوغان؟ دانيال

مصمم على المضي في الزواج على أن يحاول إقناع دارسي فيما بعد.. لكني لا أريد إتمام الزواج من دون موافقة ابنته، فهذه ليست طريقة جيدة لبدء حياة زوجية. ولن أرضى بأن أكون عثرة بين أب وابنته».

شعر لوغان بالحيرة فعلاً.. هل يعقل أن تكون أمه قد أحبت دانيال سيمون إلى درجة تجعلها تقدّم سعادة شخص آخر على سعادتها..؟ إن كان الأمر كذلك فستكون هذه هي المرة الأولى!

ابتسمت أمه لتعبيره المصدوم، وقالت تؤنبه: «أنت لا تصدق أنني أفكر بهذه الطريقة.. أليس كذلك؟ ربما لو كنا مقرّبين أكثر، في السنوات العشرين الأخيرة، أو ما يقاربها..».

رد باشمئزاز: «كما تعرفين تماماً أمي.. لقد كرهت مالكولم سلاتر، ذلك الذي تزوجت به بعد وفاة أبي. وفضلت العيش مع جدي بدلاً من العيش معكما».

قالت تعترف: «وأنا أيضاً كنت أكرهه فعلاً يوم طلاقنا».

ـ صحيح؟

ابتسمت بحزن: «صحيح.. والسبب الرئيسي هو أنني خسرت ابني خلال فترة خمس سنوات من زواجنا. لوغان، لماذا تظن أنني أريد الحصول على موافقة دارسي على زواج أبيها مني! السبب هو أنني أعرف مرارة الإحساس بفقدان الولد في مثل هذه الظروف.. لقد فقدتك لسبب مشابه. ومع أن الوقت متأخر لإنقاذ علاقتي بك الآن، إلا أنني لن أفعل هذا بدانيال ودارسي!».

حدق لوغان بأمه مذهولاً وهو يتساءل عما إذا كان مخطئاً في رأيه فيها طوال تلك السنوات..

نظرت إليه بعينين زرقاوين: «أحتاج إلى مساعدتك لوغان.. أحتاجك لتساعدني على إقناع دارسي بأنني أحب والدها حقاً، وأنني أنوي إسعاده..

هل ستساعدني؟».

هل يريد حقاً أن يساند أمه؟ هل يمكن له أن يصدق الأشياء التي تقولها له؟ والأهم من كل هذا، ألم تكرهه دارسي بما يكفي؟

***

نادت الجدة من أعلى السلم: «مكالمة لك يا دارسي».

مكالمة لها؟

ممن؟ فعدا والدها، ما من أحد يعرف أنها تقيم مع جدتها منذ يومين. ولقد عرف والدها بهذا لأن جدتها رأت أن عليها أن تخبره بالأمر.

لكن هذا ترتيب مؤقت.. فقد وجدت دارسي شقة للإيجار، لكن المستأجر الحالي لن يترك الشقة لسوء الحظ قبل الأسبوع القادم. ركضت تنزل السلم لتلتقط السماعة وسألت بقلق: «نعم؟».

حياها لوغان ماكنزي: «دارسي.. أنت شابة يصعب اقتفاء أثرها».

تصلبت دارسي لدى سماع صوته.. واشتدت يدها على السماعة، وردت بجفاء: «ولماذا تزعج نفسك؟».

ـ ظننتك قد تهتمين إذا عرفت أنني في المستشفى بسبب كسر في عظم ساقي.

ـ أنت ماذا؟

شهقت حين تذكرت أنها ركلته على ساقه في المطعم منذ يومين.

ضحك: «لقد أثرت انتباهك على أي حال، في الواقع.. أنا أبالغ قليلاً».

سألت بقلق: «كم قليلاً؟».

ـ لست في المستشفى وعظمة ساقي ليست مكسورة.

ـ بكلمات أخرى.. أنت كاذب!

صحح لها: «بل أختلق.. ليس من اللطف أن تنعتي أحداً بالكاذب يا

دارسي».

تنهدت قلقة: «لوغان.. ماذا تريد؟».

رد بخفة: «أن أتعشى معك هذا المساء».

أجفلت للدعوة غير المتوقعة: «لماذا؟».

ـ أنت حقاً أكثر الشابات ارتياباً! ولمَ لا؟

لديها أسباب كثيرة كذلك.. بعضها لا يمكن الإفصاح عنه! فهي مثلاً تجده جذاباً بشكل يثير الاضطراب.. كما أنها لا تجرؤ على المخاطرة بأن يضمها مرة أخرى.

قال بطريقة عفوية بعد صمتها الطويل: «هيا يا دارسي.. إنه مجرد عشاء».

مجرد عشاء.. لكن ما معنى هذه الدعوة؟ لو لم تكن أمه على وشك الزواج من أبيها لما كان فكر بدعوتها على العشاء! ولا بد أنه يعرف أن ليس لها أي نفوذ عند أبيها أبداً!

قالت بحزم: «لوغان.. أبي رجل ناضج.. وراشد.. وقادر تماماً على اتخاذ قراراته دون مساعدة مني».

ـ حقاً؟

ـ حقاً!

هل يحاول أن يكون صعب المراس ؟ ألا يفهم كم يؤلمها أن تكون على خلاف مع أبيها هكذا؟

فمنذ أخذت أغراضها من المنزل قبل يومين، لم تتكلم مطلقاً مع أبيها إلا لتخبره أين تقيم في الوقت الحاضر.. ووالدة هذا الرجل هي المسؤولة عن التفريق بينهما.

قال لوغان: «لا أرى ما هي مشكلتك يا دارسي.. لقد حصلت على ما أردت، بطريقة أو أخرى.. لذا لماذا..؟».

قاطعته: «ماذا تعني؟».

ـ لقد فسخت أمي خطوبتها من والدك.

شهقت: «ماذا فعلت؟».

وأحست فجأة بدوار، حتى أنها جلست على الكرسي بجانب الهاتف.

قال لها بسعادة: «أجل.. لقد انتهى كل شيء، لقد فسخت أمي الخطوبة مساء الأمس».

سألت بذهول: «لماذا؟».

ـ وهل هذا يهم؟ هذا ما أردته.. أليس كذلك؟

لم تكن تريد أن يتزوج والدها من مارغريت فرايزر.. لا.. لكن إذا لم تعرف أسباب فسخ الخطوبة فلن تشعر بالرضى لهذه النهاية.. إذا اتخذا معاً هذا القرار، فلا بأس. لكن لو أن مارغريت فرايزر هي التي فسخت الخطوبة، فما هو شعور والدها الآن؟

تابع لوغان بعد صمتها: «يجب أن أعترف أنني توقعت أن تكوني سعيدة أكثر لسماعك الخبر».

لكن كيف يمكنها أن تكون سعيدة، وهي تعرف أن والدها سيكون بائساً؟ هذا مريع.. فوضى.. فوضى ساهمت هي في إثارتها...!

ردت: «إذن أنت مخطىء في تفكيرك يا لوغان. وإذا كنت تظن أنني سأخرج معك هذا المساء لنحتفل...».

رد بلطف: «أعتقد أن تسمية دعوتي بالاحتفال أمر مبالغ فيه. صحيح أننا لن نستطيع شرب نخب الزوجين السعيدين لكن..».

قاطعته: «كيف يمكن أن تكون دون إحساس هكذا.. أنا لا أعرف ما هي مشاعر أمك. لكن لا شك أن أبي محطم الفؤاد، وكل ما تستطيع أن تفعله هو..».

قاطعها بنفاد صبر: «مهلك لحظة يا دارسي.. أنت من أراد إنهاء

الخطوبة، والآن بعد أن حصلت على هذا، تحاولين. . . ».
دافعت بحدة: «وأنت أردت هذا بقدر ما أردته. . أنت الذي اعتقدت أن أبي لم يكن لائقاً بما يكفي ليتزوج بأمك!».

ـ لا أعتقد أنني قلت هذا أبداً. .

أصرت دارسي: «لكنك فكرت فيه! والآن يبدو أنه بفضل مساعدتك باتت أمك تشاركك الرأي. . فكيف تجرؤ على. . ».

قال لوغان بحزم: «توقفي عند هذا دارسي».

ـ لن أتوقف بكل تأكيد. لقد بات الأمر واضحاً جداً، أنك لست سعيداً بزواج أبي من أمك. .

ـ وأنت ما كنت سعيدة بزواج أمي من أبيك. . والآن حصل كلانا على أمنيته. . فعلام تتذمرين إذن؟ لقد ربحت يا دارسي. . لقد هزمت العجوز. . في الواقع لقد فهمت خطأها وهربت!

إلا أن دارسي لم تشعر وكأنها ربحت شيئاً. . فقد كانت تشعر بالفظاعة! أدركت لتوها أنه لا يحق لها أن تقرر مثل هذه الأمور عن شخص آخر، خاصة والدها!

قالت للوغان ساخطة: «أعتقد أنك متوحش دون إحساس».

رد ساخراً: «لأنني لا أدّعي أنني متكدر لهذا؟».

ردت بقوة: «لأنك أناني».

ـ هل يعني هذا أنك لن تتناولي العشاء معي؟

صاحت: «كلا! لا هذا المساء ولا في ما بعد! والآن، لو عذرتني. . يجب أن أخرج».

ـ لرؤية والدك؟

صاحت: «اهتم أنت بشؤونك الخاصة!».

وصفقت السماعة مكانها.

إنه مجرد من الاحساس. ألا يهتم لأن أمه الآن تعيسة مثل أبيها، بعد فسخ الخطوبة.

حسن جداً. . سيبحثان المسألة فيما بعد!

* * *

www.elromancia.com
مـرومـانـسـيـة

٦ ـ لن أذهب بدونك . .

أحس لوغان كأنه مجرم يعود راكضاً نحو مسرح الجريمة! ومع أن مطعم الشيف سيمون، بديكوره الدافىء، ورائحة طعامه الشهية، والخدم الودودين الكفوئين، لم يكن أبداً مسرح جريمة أو مكان دمار، إلا أن لوغان أحس وهو يدخل المطعم وكأنه يدخل ميدان صراع! ولو أنه ميدان صراع من صنعه هو . . كما اعترف لنفسه!

لم يكن لديه شك بأن دارسي لا تودّ رؤيته بعد محادثتهما الهاتفية. لكن، كان لديه سبب للمجيء إلى هنا. فهو يود أن يرى ما إذا كانت دارسي قد عادت إلى والدها. وهذا هو بالضبط هدف اتصاله بها.

حيّاه رئيس الخدم بحرارة: «مساء الخير سيد ماكنزي. . تسعدني رؤيتك مجدداً».

هز لوغان رأسه محيياً بعد أن قرأ الإسم على بطاقة الرجل: «جايمس . . لقد اتصلت سكرتيرتي وحجزت لي طاولة لشخص واحد».

لقد بات معتاداً على تناول الطعام وحيداً!

أكد له كبير الخدم: «بكل تأكيد، الطاولة نفسها، إذا كان ذلك يناسبك!».

ولمَ لا؟ فمزاجه الآن ليس أفضل مما كان عليه منذ ثلاثة أيام، وهو لا يرغب بأي رفقة!

ابتسم: «عظيم . . ولسوف أحاول إكمال الأمسية كلها هذه المرة».

لوّح الرجل بيده صارفاً النظر عن الاعتذار: «لقد شرح لنا ابن خالتك أنك استدعيت إلى مكان آخر على عجلة».

شكراً يا فيرغوس. قالها لوغان في سرّه.

سأل بلهجة عفوية بعد أن جلس، ووضع رئيس الخدم لائحة الطعام أمامه: «هل دارسي . . الآنسة سيمون، هنا هذا المساء؟».

للوهلة الأولى، كاد الرجل يفقد مرحه. لكنه سرعان ما سيطر على نفسه، إلا أن ابتسامته بدت للوغان متوترة قليلاً، وقال مؤكداً: «بكل تأكيد هي هنا سيد ماكنزي . . هل تريدني أن أقول لها . . ؟».

رد لوغان بحدة: «لا! لا . . لقد تساءلت فقط عمّا إذا كانت هنا الليلة، وهذا كل شيء . . شكراً لك».

دارسي هنا! لحسن الحظ أن الأمور عادت تسير على ما يرام في عالمها.

ـ هل أحضر لك شيئاً تشربه سيد ماكنزي؟

ـ عصير برتقال.

هذه المرة كان متأكداً مما طلبه . . السمك كبداية، ووجبة أساسية من اللحم المشوي!

ولم يكن لديه شك حين وصلت الأطباق في أنها لذيذة . . لكنه لم يتذوق لقمة منها! كان يعي تماماً أن دارسي تعمل في المطبخ على بعد خطوات، وكان في كل مرة ينفتح فيها باب المطبخ، لا يستطيع منع نفسه من التطلع في اتجاهه. هذا أمر سخيف!

لماذا يشعر بعدم الارتياح هكذا؟ فهو لم يفعل سوى إخبار دارسي بالحقيقة. ثم، إذا عادت إلى العمل هنا، فهذا يعني أنها تصالحت مع والدها، ويجب أن تشكره!

هو يعرف أنها ليست ممتنة . . وأنها تعتبره متوحشاً وأنانياً وإلى ما هنالك . . .

ـ ماذا تفعل هنا؟

كان غارقاً في أفكاره بحيث لم يلاحظ أن دارسي خرجت من المطبخ، وراحت تنتقل من طاولة إلى أخرى تتبادل الحديث مع الزبائن، إلى أن لمحته يجلس وحده على الطاولة قرب النافذة!

وضع لوغان السكين والشوكة من يده على الطبق قبل أن يرفع نظره إليها:

ـ ليس هذا ما كان يجول في ذهني حين دعوتك.. لكن لا بأس.

كانت ترتدي بلوزة عاجية، وتنورة سوداء، وكان شعرها مربوطاً إلى الخلف، ووجهها محمراً بسبب عملها في المطبخ.

أم بسبب الغضب لرؤيته هنا؟ هذا ممكن..

قال ساخراً: «أرجو ألا تكوني على وشك افتعال مشكلة أخرى في مطعم والدك يا دارسي.. مشكلتان في أسبوع واحد ليس أمراً جيداً، تعرفين هذا.. ففي هذه الحالة سوف يأتي الناس إلى هنا «للفرجة» بدلاً من تناول الطعام!».

أخذت نفساً عميقاً، وحاولت جاهدة السيطرة على غضبها. لكنها كانت تعرف أن لوغان على حق بشأن عدم افتعال مشكلة.

أخيراً ردت: «لا.. لن أفتعل مشكلة.. سألتك فقط ماذا تفعل هنا».

وكانت لهجتها رزينة بالرغم من أن اللمعان الذي ظهر في عينيها كان يقول شيئاً مختلفاً.

رد عليها: «أعتقد أنني أفعل ما يفعله الآخرون هنا... أتناول الطعام!».

اشتدت قبضتاها إلى جانبيها، وسألت: «لكن، لماذا هنا؟».

نصحها بصوت منخفض: «ابتسمي يا دارسي.. لقد بدأ الناس ينظرون إلينا».

ـ دعهم ينظرون. فعلى عكس ما تظنه أنت وأبي أنا لا أبتسم عند الطلب يا لوغان...

قاطعها متشدقاً: «حسن جداً.. هذا على الأقل يبشر بالخير. كنت أتوقع أن تناديني بشيء أكثر سوءاً من مجرد اسمي الأول».

وقطبت متسائلة.

يبشر بالخير.. بعد الطريقة التي أنهت بها مكالمتهما الهاتفية، كان يجفل عند التفكير ببعض الأشياء التي ستقولها له، عندما يلتقيان ثانية. وكان لوغان ممتناً لهذه الظروف!

سأل بصوت لطيف: «هل لديك بضع دقائق؟ ما رأيك في الانضمام إلي لشرب كوب من العصير».

وبدت مستعدة للانفجار: «أنضم إليك..!».

وسيطرت على أعصابها بجهد: «لوغان.. لو أمسكت كأس عصير فعلى الأرجح لأسكبه على رأسك بدلاً من أن أشربه».

هذه هي دارسي التي يعرفها.. و.. وماذا؟ ليس لديه فكرة عن ماذا؟ لكنه يعرف أن أمسيته اكتسبت توهجاً على حين غرة.. وأن الجو حولهما أخذ يضج بالحياة.. ما يحبه في هذه المرأة هو أنها لا تصيبه بالملل أبداً. وهذا بحد ذاته أمر غير عادي.. ففي كل علاقاته السابقة، كان يجد نفسه ضجراً بعد بضعة لقاءات.

ـ سيكون هذا هدراً.

ورفع كأسه في نخبها قبل أن يرتشف شيئاً من عصير البرتقال.. وقال:

ـ هذا فعلاً عصير طازج ممتاز.. هل أنت واثقة من أنك لا تريدين الانضمام إلي لشرب كأس منه؟.

أكدت له من بين أسنانها: «متأكدة.. ويجب أن أعود إلى المطبخ.. لبفضلك وبفضل أمك، أنا على عجلة من أمري هذا المساء!».

تمتم وهو ينظر إلى الموائد المزدحمة: «حسن جداً.. أرى أن المطعم مزدحم.. لكن هذا ما تريدينه بكل تأكيد، أليس كذلك؟ ولا أرى كيف أنني وأمي متورطان في هذا؟».

سحبت كرسياً لتجلس قبالته: «إذن سأشرح لك.. ممكن؟».

ومالت إلى الأمام، ونظرتها الفضية شاخصة على وجهه: «من الواضح أنك قلت لأمك إنها ترتكب غلطة في زواجها من أبي...».

ـ أنا...

ـ هل تتركني أكمل.. لطفاً؟

ربما من الأفضل له أن يدعها تكمل. فقد بدا أنها تنتقي كلماتها بحذر وأنها مستعدة للانفجار.

وهو لم يكن يمزح حين نصحها بعدم افتعال مشكلة أخرى في المطعم.

تابعت قائلة: «شكراً لك.. بناء لنصيحتك، فسخت أمك خطوبتها من والدي. ووالدي قرر على أثر هذا، أنه يحتاج إلى فرصة بعيداً عن كل شيء.. عن أمك وعني، وعن المطعم، وكل شيء.. وهكذا..».

قاطعها لوغان بنعومة: «أتقولين إن والدك ليس في المطبخ؟».

ـ هذا ما أقوله بالضبط.

ـ إذن من..

وصمت وهو يهز رأسه وقد ضاقت عيناه: «أتقولين إنك أنت من تحضر كل الوجبات هذا المساء؟».

ـ هل هناك ما لا يعجبك في وجبة طعامك؟

أكد لها بذهول: «لا.. أبداً».

في الواقع كان الطعام ممتازاً.. لكنه لم يكن يعرف أن دارسي تجيد الطبخ هكذا.. فحين أخبرته أنها تساعد والدها في المطبخ، ظن أنها على الأرجح تقشر الخضار أو تفعل شيئاً ما.. لكنه وجد من الأفضل أن يلزم الصمت

بهذا الشأن، بعد نظرة إلى قسمات دارسي الصارمة!

إن غياب دانيال سيمون هذا المساء، يفسّر تصرف رئيس الخدم. فمن الواضح أن الأمور لم تكن على ما يرام في المطعم! بالرغم من أن جايمس وبقية العمال كانوا يبذلون جهدهم لكي يبدو الأمر عكس ذلك.

ذكرته دارسي بحدة: «لقد قلت لك إنني تدربت على أعمال المطبخ».

أجل، لقد قالت هذا.. لكنه كان يظن..

قال مادحاً: «أنت بارعة جداً. لم يكن لدي فكرة أن والدك ليس في المطبخ ليطهو هذا الطعام الشهي».

شرحت له متصلبة: «هذا على الأرجح لأنه ساعد في تدريبي».

ـ وقام بعمل جيد.. لكن، أين هو الآن؟

جلست دارسي مستقيمة إلى الخلف، ولمعت عيناها بلون رمادي، وارتجف فمها قليلاً وهي تقول له: «ليس لدي فكرة.. لم يقل لي. ولم أشأ أن أسأله».

حدق لوغان إليها.. وفتح فمه مرتين ليتكلم، وأقفله في المرتين دون أن ينبس ببنت شفة.

لا بد أن هذا اليوم هو من أسوأ الأيام. فبعد تلك المكالمة المبكرة مع لوغان، ذهبت دارسي لرؤية والدها. فإذا به يقول لها إن عليه أن يبتعد لبضعة أيام، ويطلب منها أن تأخذ مكانه في المطعم أثناء غيابه.. وفي مثل هذه الظروف، لم يكن بوسعها سوى القبول.

حاولت التحدث إلى والدها، فقد كانت متأكدة من أن ابتعاده في مثل هذا الوقت، لن يحل شيئاً.. لكنه بقي مصمماً على قراره.

أخيراً قالت بحدة بعد أن أصبح التوتر لا يطاق: «حسن جداً.. لماذا لا تقول شيئاً؟».

كشّر لوغان: «لا أظنني أعرف ماذا أقول».

ردت ساخرة: «لا بد أن هذه هي المرة الأولى».

نظر إليها مؤنباً، وقال: «إهانتي لن تساعد في تحسين الموقف يا دارسي».

ـ ربما لا.. لكنها تجعلني أشعر بتحسّن.

ـ لا أشك في هذا.. لكنها لن تعيد لك والدك من حيث ذهب ليبلسم جروحه.

ردت تدافع بهجوم: «جروح أوقعتها أمك به!». واصطبغت وجنتاها بنار حمراء.

ـ إنها أول امرأة يهتم بها فعلاً منذ وفاة أمي.. ولقد رمت له حبه في وجهه كأنه لا يعني لها شيئاً!

نظر لوغان إليها مفكراً: «أما كان يجب أن تفكري بهذا قبل أن ترمي آنذاك اللوم في وجهه؟».

ـ أنا لم..

ـ لقد تخليت عن عملك معه هنا.. وغادرت منزل العائلة.. أليس هذا بمثابة إنذار له: هي أو أنا؟

خبا الاحمرار الذي يعلو خديها وأصبحا ببياض الأموات..

ـ أنا فقط..

وصمتت، وارتجفت شفتها بحيث لم تستطع الكلام ودمدمت:

ـ عن إذنك.

ووقفت تشق طريقها نحو المطبخ وهي لا ترى شيئاً أمامها، وأحست بالارتياح لسماعها صوت الباب يقفل وراءها، وانهمرت الدموع الساخنة على خديها، ما استرعى انتباه العاملين في المطبخ.

لكنها لم تشعر بالراحة حين أحست بذراعين قويين تلتفان حولها، وتجذبانها إلى صدر صلب، عرفت على الفور أنه صدر لوغان.. لقد لحق

بها!

قال بخشونة وهو يعطيها منديله الأبيض: «لقد أصبح هذا عادة عندي».

أخذت المنديل، وخف نحيبها وهي تمسح دموعها.

كانت قد حاولت طوال المساء ألا تفكر بوالدها، أو بسبب ابتعاده. لكن حين تكلم لوغان عن الأمر الآن أدركت أنه على حق. فوالدها لم يبتعد بسبب فسخ خطوبته، لقد ابتعد ليتهرب منها أيضاً!

ـ دارسي.. أوه..!

وقفت إحدى النادلات بارتباك داخل المطبخ وهي ترى دارسي بين ذراعي لوغان، بينما تجنب عمال المطبخ اختلاس النظر إليهما. وقالت الفتاة دون ارتياح: «آسفة للمقاطعة.. لكن زبائن الطاولة رقم عشرة أحبّوا كريما السبانخ كثيراً حتى أنهم يتساءلون ما إذا كان هناك المزيد منها».

نظر لوغان إلى الفتاة المسكينة: «قولي لهم..».

قاطعته دارسي: «لا.. لا بأس يا لوغان».

وخرجت من بين ذراعيه لتستدير وتبتسم للنادلة: «أعطني دقيقتين».

والتفتت إلى لوغان: «علي حقاً أن أتابع عملي الآن.. فأنا..».

ـ سأعود إلى مائدتي.. ثم سأنتظر وآخذك إلى المنزل فيما بعد.

وكان عليها أن تعترف أنها لا تفضل العودة إلى منزل والدها الفارغ.

قال لوغان بحزم: «الأمر ليس موضوع نقاش، فما زال لدينا أمور علينا أن نناقشها».

ولم تكن تنوي النقاش، بل كانت سترفض اقتراحه بحزم. لكن نظرة واحدة إلى قسمات وجهه المصممة، جعلتها تعرف أنها ستضيع وقتها.. والوقت ليس شيئاً يمكن أن تضيعه هذا المساء!

هزت رأسها: «سأنهي عملي هنا حوالى الساعة الثانية عشرة

والنصف».

أجاب بخشونة: «عظيم».

واستدار على عقبيه ليعود إلى داخل المطعم.

أخذت دارسي نفساً عميقاً قبل أن تستدير وتبتسم للعمال الأربعة الذين يساعدونها في المطبخ، وقالت: «لقد انتهى العرض يا رفاق.. ولدينا مطعم نديره».

لكنها مع ذلك لم تستطع التركيز تماماً، فهي لم تنسَ أن لوغان ينتظر ليأخذها إلى المنزل.. أنهى لوغان طعامه في الحادية عشرة. ودخل المطبخ حيث جلس يستريح، وهذا ما لم يكن ليساعدها على التركيز.

كان كل من يعمل في المطبخ قد غادر في هذا الوقت. وكانت دارسي تقوم بمعظم أعمال التنظيف بنفسها. ولم يقل لوغان كلمة، لكن دارسي كانت تشعر طوال الوقت بوجوده في مؤخرة الغرفة.

قالت بارتباك بعد منتصف الليل بقليل: «لن أتأخر كثيراً».

قال: «خذي وقتك.. لن أذهب إلى أي مكان».

بل سيذهب إلى منزلها! للكلام.. كما قال.. لكن، ماذا بقي ليقولاه لبعضهما؟

هذا الأمر يربكها، فهي لا تزال تتذكر الطريقة التي عانقها بها منذ ثلاثة أيام.

والأكثر تحديداً.. أنها لا تزال تذكر كيف استجابت لعناقه!

***

٧ ـ دعني أذوب

تعمدّ لوغان البقاء صامتاً في طريق العودة إلى منزل دارسي، لكنه أحس بالغضب الشديد نحو والدها لأنه تركها في موقف حرج كهذا. فالمطعم مطعمه، ولا يحق له الابتعاد بهذا الشكل وترك كل شيء على عاتقها!

حين وصلا إلى منزلها، أضاءت النور وسبقته إلى المطبخ:

ـ هل ترغب بفنجان قهوة؟.

رد لوغان بحزم: «لا.. بل أرغب في أن تجلسي».

وقرن كلماته بالفعل، ودفعها بلطف نحو إحدى الكراسي الخشبية الموضوعة حول الطاولة.

ـ.. وأنا سأعدّ القهوة. لقد خدمت الناس بما يكفي هذا المساء.

وبدأ يفتش في خزانة المطبخ عن البن: «لم أكن أعرف أن إدارة المطعم تتطلب كل هذا العمل».

ابتسمت دارسي متوترة: «في العادة هناك طاهيان في المطبخ كل مساء.. لكن عطلة الطاهي الآخر صادفت الليلة. و..».

قطع عليها لوغان الكلام: «وبسبب اختفاء أبيك، بقيت لتحملي الحمل وحدك».

صححت له: «في الواقع كنت سأقول هذا، كما أنني لم أشعر أنه من الإنصاف أن أطلب من دايفد القيام بعمل إضافي هذا المساء».

ـ وأنا لا أعتقد أن والدك كان منصفاً في الابتعاد وترك كل الأمور على

عانقك.. فما حصل فسخ خطوبة وليس نهاية العالم!

ووضع أمامها فنجان قهوة يتصاعد منه البخار قبل أن يجلس ويحتسي قهوته.

نظرت إليه مفكرة لعدة ثوان: «هل وقعت في الحب من قبل يا لوغان؟».

تراجع في جلسته، ولم يستطع إخفاء دهشته لسؤالها الشخصي. ما من أحد طرح عليه يوماً سؤالاً كهذا، ولا حتى فيرغوس أو برايس، والله يعلم أنهما أقرب إليه من الأخوة!

أخيراً رد عليها مدافعاً: «وأنت؟».

ابتسمت دارسي ابتسامة بدت أقل تعباً هذه المرة. الراحة من ضغط العمل ودفء القهوة أنعشاها قليلاً، على ما يبدو.

قالت: «مرة واحدة.. لكنني لا أعتقد أنها تُحسب».

ولم يوافقها لوغان الرأي.. أي نوع من الرجال هذا الذي أحبته يوماً؟ وهل أحبها هو أيضاً؟ وإذا كان الأمر كذلك، فأين هو الآن؟

قالت بابتسامة شريرة: «كنت في التاسعة، وكان هو في العاشرة».

لا شك أنها تشعر بالتحسن لتمزح هكذا.. وتقبل لوغان الأمر بظرف.

لكنه لم يشعر بأنه أفضل حالاً.. لماذا يزعجه كثيراً أن يعرف أنها أحبت شخصاً آخر؟

رد بخشونة ساخرة ليغطي ارتباكه: «إنه أكبر منك سناً».

ابتسمت وارتشفت القهوة: «همم.. لكنني لا أعتقد أنه يمكنك الحكم على مشاعر أبي على هذا الأساس في الوقت الحاضر».

قد تكون محقة، ولأن لوغان لم يحب من قبل.. حتى في التاسعة أو العاشرة، فهو لا يستطيع حقاً أن يطلق الأحكام. إلا أنه لا يزال يعتقد أن أمه ليست خسارة كبيرة لدانيال سيمون وحياته!

هز لوغان كتفيه: «أنا واثق من أنه سيتغلب على محنته».

نظرت دارسي إليه نظرة مضطربة: «أتمنى لو أكون واثقة مثلك.. ربما لو تكلمت مع أمك..».

انفجر غير مصدق: «لماذا؟».

ووضع فنجان القهوة من يده: «ذاك المساء لم تستطيعي تحمل البقاء في المطعم معها!».

كشرت دارسي وجهها: «لكن، ربما كنت مخطئة في حقها. لقد فكرت بهذا كثيراً.. ونظراً لحالة والدي الآن، كان من الأفضل أن أفكر.. إذا كان يحبها..».

ذكرها لوغان: «لقد قلت بنفسك إنه لا يحبها.. وإنه لا يمكن أن يعرف حقيقة مشاعره بعد ثلاثة أسابيع من معرفتها».

لقد عرف أمه لخمس وثلاثين سنة.. وهو حتى الآن ليس متأكداً من أنه يحبها! مارغريت أمه، وهو يعرف أن عليه احترامها وحمايتها.. لكن الحب..؟ لم يكن متأكداً.

تنهدت دارسي بثقل: «كنت أظن أن فسخ الخطوبة هو ما أريده. لكن الآن وقد حدث ما حدث، لا أستطيع تحمل رؤية والدي تعيساً!».

ـ تعاسة قصيرة الآن أفضل من تعاسة تدوم العمر كله.

أمالت دارسي رأسها وهي تنظر إليه مفكرة مرة أخرى:

ـ أنت حقاً لم تحب.. أليس كذلك؟.

ـ أنا ببساطة أشك في أن يكون الحب أساساً جيداً لبناء علاقة تدوم مدى العمر.

نظرت دارسي إليه غير مصدقة وشهقت: «ما هي الأسس الجيدة إذاً؟».

ـ ليس لدي فكرة.. يجب أن أرى علاقة ناجحة لأحكم!

كان زواج أمه من أبيه سعيداً.. لكن لوغان كان صغيراً جداً حين مات

والده ليتمكن من الحكم على صحة ذلك. أما زواج مارغريت الثاني فكان أشبه بساحة معركة.

لا.. لقد قرر منذ زمن بعيد، أنه لو خطا هذه الخطوة المتطرفة يوماً، وتزوج، فلن يكون ذلك بكل تأكيد بسبب الحب. فالحب يجعل المرء ضعيفاً، ولوغان لا يريد أن يختبر هذا النوع من الأحاسيس!

تجهم جبين دارسي العاجي: «أجد هذا محزناً جداً».

وبدت حزينة فعلاً، إلا أن لوغان لم يكن يريد أن يسبب لها هذه التعاسة. فقال يؤنبها ممازحاً: «نحن لسنا هنا لنناقش نظرتي إلى الحب والزواج.. ما يهمك هو والدك.. ألا تذكرين؟».

لكنه سرعان ما أدرك أن ما قاله لم يكن مناسباً، خاصة بعد أن رأى أن حزنها يزداد عمقاً.

سألته: «أودّ حقاً أن أتحدث إلى أمك، أتظن أن هذا ممكن؟». ونظرت إليه بعينين رماديتين صافيتين.

هذا مستحيل، عن طريقه! فهو لا يرغب مطلقاً بأن تقابل دارسي أمه.

قال بحذر: «ولأي غرض؟».

بدت دارسي مرتبكة: «بصراحة، ليس لدي فكرة، وهذا أمر غريب. لكنني أشعر أن كل منا تحب والدي وهذا يجعل بيننا رابطاً ما.. هل تفهم هذا؟».

ونظرت إليه متسائلة.

ذكرّها: «هل نسيت أن أمي هي التي فسخت الخطوبة؟ وهذا بالكاد يعتبر تصرف امرأة تحب!».

أصرت دارسي: «هنا تكمن المسألة كلها، أحتاج أن أعرف لماذا فسخت الخطوبة.. وإذا كان هذا الأمر يتعلق بي..».

قاطعها لوغان بإصرار: «حتى لو كان له علاقة بك. ماذا يمكنك أن

تفعلي؟».

كان لا يزال غير واثق من صدق كلام أمه إلى أن قالت إنها لن تتزوج دانيال سيمون إذا كان هذا الزواج سيفسد علاقته بابنته.

ـ أمي ليست من النوع الذي يتأثر باحتياجات الآخرين ورغباتهم.

ولم تعجبه الطريقة التي راحت دارسي تنظر بها إليه. وأدرك أنه بكلامه هذا قد فضح الكثير من استيائه ومرارته نحو أمه.

لكن، بعد أن اتصلت به مارغريت فرايزر هذا الصباح لتعلمه أنها أنهت علاقتها بدانيال سيمون، كانت الفكرة الوحيدة التي خطرت في ذهنه أن يخبر دارسي بالأمر. ولقد تجاوبت دارسي بالذهاب مباشرة إلى والدها. إلا أن دانيال هو الذي بدل السيناريو بسبب قراره بالابتعاد بهذه الطريقة. والآن، ها هي دارسي تطلب اللقاء مع أمه، مع أنها أظهرت نحوها كراهية عميقة فيما مضى.. لم يكن لوغان واثقاً من أنه سيفهم النساء أبداً.. أو بالأحرى اكتشف أنه من السهل أن يفهم معظم النساء، لكن أمه ودارسي كانتا لغزاً بالنسبة إليه!

تابعت دارسي النظر إليه: «هل ستعرّفني بها.. أم سأضطر للجوء إلى طريقة أخرى للقاء بها؟».

سألها لوغان: «لماذا لا تتقبلين أن الأمر انتهى؟ وتكونين ممتنة لذلك!».

أصرت بعناد، متجاهلة كلماته: «هل ستعرفني بها؟».

وقف فجأة، وقال راعداً: «لا.. لن أفعل! لماذا لا تتركين الأمر وشأنه؟ ستستمر أمي بالتمثيل، وسيتغلب والدك على خيبة أمله، وأنت..».

لمعت عيناها: «لن يرتاح لي بال حتى أكلم أمك!».

أحنى لوغان رأسه لينظر إليها طويلاً. إنها حقاً عنيدة... عنيدة مثله..

وراح يفكّر. . . إن كانت دارسي جادة حقاً في رغبتها بلقاء أمه. . وهي جادة قطعاً كما يبدو. . أفليس من الأفضل أن يكون حاضراً حين تلتقيان؟

بكل تأكيد!

قال ساخطاً: «حسناً. . سأكلم أمي غداً لأرى إذا كانت راغبة بلقائك. فهل يرضيك هذا؟».

ردت دارسي بابتسامة.

وعندئذ أحس لوغان بأن مطرقة ثقيلة أصابت صدره، وخطفت أنفاسه!

قالت دارسي وهي تقف: «شكراً لك يا لوغان. . هل أحضر لك المزيد من القهوة؟».

رد بصوت مخنوق: «قهوة. . ؟».

توقفت عن ملء الإبريق، وارتفع حاجباها: «إلا إذا كنت تريد الذهاب الآن؟».

اضطرت دارسي إلى تبديل رأيها السابق فيما يتعلق بعلاقة لوغان بأمه. فهي كانت قد افترضت أنه لا يريد أن يتزوج والدها من أمه، لأنه ليس كفؤاً. لكن تعليقات لوغان منذ وصوله أوحت بشيء مختلف تماماً. إنه لا يحب أمه. . وهذا أمر مريع بالنسبة لدارسي. إذ كيف يمكن للمرء ألاّ يحب أمه؟ وإذا كان لوغان لا يحب أمه، فأي فرصة لها هي في أن تحبها؟

سألت بقلق بعد أن طال سكوته: «لوغان؟».

خطا إلى الأمام، ووقف على بُعد خطوات منها، وتمتم غاضباً: «ما هذا الذي فيك بحق السماء؟».

نظرت إليه مجفلة: «ماذا؟».

هز لوغان رأسه باشمئزاز من نفسه: «في كل مرة تبتسمين، أرغب في معانقتك».

اتسعت عيناها وصدمت لاعترافه، وتراجعت إلى الخلف، لكنه شدها دون جهد إلى ما بين ذراعيه فاختنق في صدرها كل ما أرادت أن تقوله.

قد يشعر هو برغبة في معانقتها كلما ابتسمت، لكن كلما اقترب منها كانت هي تذوب.

تحركت يداها لتمسك بكتفيه. . ليس بسبب خوفها من الوقوع فقد كان يمسك بها بقوة ويضمها إليه. . أحبت الإحساس به، أحبت قوة جسمه.

واحترقت دارسي. وأرادت ألا يتوقف هذا الإحساس أبداً!

علا خدي لوغان احمرار خفيف وهو ينظر إليها، وقال متأوهاً: «أنت جميلة جداً!».

أحست دارسي بالضعف لشدة شوقها وتجاوبها، وزادت حرارة جسمها بشكل محموم. وارتجفت بشدة بحيث لم تعد تستطيع الوقوف.

لكن، ما إن أحس بتجاوبها، حتى توقف السحر بالنسبة للوغان، وتحركت يده لتمسك بيديها وهو يبتعد قليلاً عنها.

رفعت دارسي نظرها إليه، بعينين زادت حرارة الحب من لونهما الداكن، وكأنها تسأله لماذا توقف.

قال بصوت خشن: «هذه ليست فكرة جيدة».

وشعرت دارسي بموجات من الإحراج. ماذا كانت تفعل؟ حسب معرفتها لا يلزم لوغان سوى عشر دقائق بالضبط ليجعلها تذوب بين يديه.

ماذا سيفكر بحق السماء؟ منذ ساعتين كانت ترشقه بالإهانات، مع ذلك، الآن. . وللتو. . أوه. . يا إلهي!

تكلم لوغان بتعبير قلق وهو يمرر يده في شعره الأسود الكثيف: «أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب. . أنا. . أنا آسف دارسي».

هل هو آسف؟

لم تكن دارسي واثقة من أنها ستتمكن من النظر إلى وجهه مرة أخرى. لقد عانقها كما لم يعانقها أحد من قبل..

كرر لوغان: «أنا حقاً آسف يا دارسي».

فقالت وهي تنظر إلى الأرض:

- ربما من الأفضل أن تذهب.

- أجل.

لكنه لم يتحرك. ومع أنها لم تكن تنظر إليه إلا أنها كانت تشعر بوجوده في المطبخ، وتعرف أنه لم يذهب.

أخيراً توسلت: «أرجوك لوغان!».

ولم تعد واثقة من أنها قادرة على الوقوف على قدميها.

كرر بهدوء: «أجل.. أنا.. سأتصل بك غداً، بخصوص لقائك مع أمي».

نظرت إليه متسائلة: «طبعاً».

ثم استدارت مجدداً، وللحظة ظنت أنه يعني شيئاً آخر!

عنّفت نفسها: حمقاء.. إنها ولوغان من أصلين مختلفين، ويعيشان في عالمين مختلفين، ولم يلتقيا إلا صدفة وكان ذلك بسبب علاقة والدها بأمه. وما كان لوغان لينظر إليها مرتين في ظروف عادية.

لكن صوتاً داخلياً صغيراً أكّد لها أنّ لا أحد منهما كان يعرف بأمر تلك العلاقة في ذلك الوقت في مكتبه..! قالت تمازحه بصوت أجش في محاولة لتخفيف الجو المتوتر بينهما.

- ربما من الأفضل ألاّ أبتسم لك في المستقبل.

قد يصبح هذا الرجل بطريقة ما ابن زوجة أبيها وفي مقام أخيها لو أن والدها تزوج من والدته، وتمكنا من تسوية خلافاتهما..

وافق لوغان بهدوء: «أجل.. سأتصل بك ما إن أتكلم مع أمي».

هزت رأسها: «سأكون في المطعم بدءاً من الساعة الحادية عشرة صباحاً، لأبدأ التحضيرات للغداء».

هز لوغان رأسه: «إنها حياة متعبة.. في هذه الحالة أنا مضطر للحجز لدى شركة سيمون، لمجرد أن تتاح لي فرصة حديث خاص معك!».

نظراً لهذه الظروف، تفضل دارسي على الأرجح ألا يفعل.. فحديثهما الخاص ينقلب إلى شيء آخر!

قالت دون التزام: «أنا واثقة من أن أبي لن يغيب طويلاً.. سأرافقك إلى الباب.. هل تسمح؟».

إنها فعلاً بحاجة للبقاء وحدها لبعض الوقت!

قال وهما يسيران إلى الردهة: «تبدين مرهقة».

لعل كلمة «مدمرة» أكثر دقة. فهي تجد صعوبة في استيعاب كل ما حدث بينهما، ولا تعرف تماماً ما حصل.

ولم يبدُ أن لوغان أكثر سعادة منها! لا شك أنه يتساءل عما تملكه بحق السماء ليعانقها، كما فعل. فبالرغم مما قاله لها وهما يتغازلان، هي تعرف أنها ليست جميلة، ولم تكن جميلة أبداً..

ابتسامتها هي التي أغوته. لذا في المستقبل، ستحاول حقاً ألاّ تبتسم له. إلا إذا أرادت أن تجد نفسها بين أحضانه!

توقف لوغان عند الباب وقال ناصحاً: «أقفلي الباب حين أخرج. فلا أحبّذ فكرة وجودك وحيدة في هذا المنزل الكبير طوال الليل».

تحولت لهجتها إلى السخرية لتخفي مشاعر الارتباك: «.. أنا أجيد الاعتناء بنفسي».

تأمل وجهها وقال: «حسبما أرى لا تجيدين ذلك مطلقاً».

أخذت دارسي نفساً عميقاً: «قد يقتنع العديد من الناس بآرائك لوغان.. لكنني لست واحدة منهم!».

قال قبل أن يسير ويفتح باب سيارته: «أقفلي الباب على أي حال».

لم تنتظر دارسي طويلاً، فما إن خرج حتى صفقت الباب الأمامي وراءه، وتعمدت إحداث ضجة وهي تدير المفتاح في القفل.

استندت بضعف إلى الباب المقفل.. كيف سمحت لذلك أن يحدث؟ ووبخت نفسها مشمئزة من ذاتها..

في كل مرة تفكر فيها بذاك العناق، تتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعها! لا تستطيع الدفاع عن نفسها بالادعاء أن لابتسامته تأثيراً عليها كما يفعل هو.. فلوغان نادراً ما يبتسم ولا تظن أنها رأته يضحك ولو مرة واحدة. وذلك سببه على الأرجح تلك التعاسة التي تظهر جليّة في علاقته بأمه.

لكنها ببساطة لا تعرف. كما أنها لا تعرف كيف يمكنها مواجهته غداً.. وهذه المرة ستكون على الأرجح في وجود أمه!

* * *

٨ ـ خيبة مزدوجة

لم يكن لوغان متشوقاً لهذا اللقاء. لكن إحساسه هذا لا دخل له بوجود أمه.. إنما سببه علاقته بدارسي!

كان لوغان قد فعل ما طلبته منه، فاتصل بأمه صباحاً وقد بدت مرحة.

تمنى لوغان لو يشعر بالمرح ذاته. لكنه، وبعد ليلة جافاه فيها النوم، كان يشعر بالتعب وسوء الطباع. فقد بقي مستيقظاً لساعات طويلة يفكر بدارسي سيمون، ويحاول معرفة سبب تأثيرها عليه. لكن عدم توصله إلى إجابة لم يساعد على تحسين مزاجه هذا الصباح.

لم تكن دارسي تشبه النساء اللواتي يجذبنه عادة: جميلات، واثقات من أنفسهن، ومستقلات عاطفياً.. فدارسي جميلة فقط حين تبتسم.. وهي لا تبتسم كثيراً في حضوره، والحمد لله، وثقتها بنفسها تحتاج إلى الكثير بعد. أما بالنسبة لاستقلالها العاطفي.. فها هو قد خسر منديلاً آخر بسبب دموعها!

إذن، لماذا لا يستطيع إبعادها عن تفكيره؟

أغمض عينيه لحظة.. وراح يفكر فيها... لقد ركلته على ساقه وهددت بسكب كأس عصير على رأسه! وهو لو فكر جيداً بالأمر، لوجد أن حياته الشخصية غدت مضطربة منذ اللحظة الأولى التي التقاها فيها.

قالت أمه معلقة وهي تجلس إلى جانبه في السيارة التي يقودها باتجاه الفندق حيث سيلتقيان بدارسي: «أنت تعبس مرة أخرى يا لوغان».

www.liromancia.com

- إذا كنت عابساً فهذا لأنني لست ممتناً لتورطي بتعقيدات حياتك الخاصة.

هزت أمه كتفيها: «أنت دبرت هذا اللقاء لوغان.. وليس أنا».

- لأن دارسي طلبت هذا.. وليس لأي سبب آخر.

تمتمت مفكرة: «همم.. ربما سألتك هذا السؤال من قبل.. لكن.. ما مدى علاقتك بابنة دانيال؟».

نظر إليها ببرود ورد بحدة: «أنا لا أعرفها».

وهاجمته على الفور ذكرى دارسي، ونعومتها بين ذراعيه.

بدت الحيرة على أمه: «قلت لي ذلك اليوم إنكما صديقان».

صحح لها: «كنا كذلك.. وربما كان ذلك وصفاً مبالغاً فيه».

قالت أمه ببطء: «مع ذلك، طلبت منك أنت تحديداً ترتيب هذا اللقاء بيننا».

- حصل هذا فقط لأن والدها لم يبق معها وقتاً كافياً ليقوم بتدبير اللقاء بنفسه!

ابتلعت الأم ريقها بصعوبة: «لقد جرحت دانيال بشدة حين فسخت الخطوبة».

انفجر لوغان: «إذن، لماذا فعلت هذا؟».

- وأي خيار كان لي.. وقد رفضت أنت أن تساعدني؟

اشتدت قبضتا لوغان على المقود: «لا تلوميني..».

تنهدت، وأمسكت ذراعه: «أنا لا أفعل هذا لوغان.. أنا فقط أشير إلى أنني أخبرتك بما أنوي فعله إن لم تقتنع دارسي، فدانيال لم يكن راغباً في أن ألتقي بها. وأنت رفضت مساعدتي..».

وصمتت قليلاً: «ولم يبدُ لي أن هناك وسيلة أخرى».

قال بلؤم: «كان يمكن أن تفعلي ما كنت تفعلينه دائماً.. أن تهربي معه

دون الاهتمام بالنتائج».

نظرت أمه إليه بتعبير حزين: «أتمنى لو نتمكن، أنت وأنا يوماً ما.. من الجلوس والكلام عن الماضي كشخصين راشدين..».

ثم سألت بحدة: «يقول دانيال إن دارسي متزنة وطيبة القلب.. فما هو رأيك؟».

أجفل لوغان لسؤال أمه غير المتوقع، حتى أنه للحظات، لم يتمكن من إيجاد الرد المناسب..

قال دونما اهتمام: «برأيي يجب أن تنتظري لتلتقي بها وتحكمي بنفسك».

ربما وجود أمه معه في هذا اللقاء مع دارسي ليس بالأمر السيء. هذا ما فكر فيه لوغان بعد أن رأى دارسي في صالون الفندق تنتظر وصولهما.

لماذا لم يخطر له من قبل أنها جميلة؟ بدت دارسي اليوم رائعة الجمال! فشعرها البراق ينساب على كتفيها، وعيناها الكبيرتان تلمعان من خلال رموشها السميكة الطويلة، وأحمر الشفاه يلمع فوق شفتيها، منسجماً تماماً مع احمرار خديها!

بالمقارنة، كانت أمه قد خففت من التبرج الذي يظهر جمالها بشكل مثير. وكانت تضع فقط بعض الحمرة الخفيفة على خديها، وأحمر شفاه ناعماً.

لم يكن لدى لوغان أي شك في أن المرأتين قد قامتا بهذه التغييرات في مظهريهما توقعاً للقاء بعضهما. ولم يكن يهتم لمظهر أمه، فهي ممثلة تجيد لعب دورها ببراعة وغالباً ما يكون من الصعب معرفة ما هو الدور الحقيقي. لكن مظهر دارسي المختلف تماماً، كان له تأثير بالغ على لوغان، مما أصابه بالذهول.

ومظهرها هذا جعله يعي تماماً أن ابتسامتها ليست هي وحدها التي

تصيبه بفقدان القدرة على الكلام!

ربما سيتمكن من تعريف المرأتين ببعضهما ثم يعتذر وينصرف؟ لأنه لم يكن واثقاً من أنه قادر فعلاً على الجلوس هنا، والتصرف بشكل طبيعي!

لكن، بدلاً من الاعتذار والمغادرة، وجد نفسه يجلس معهما، ويوافق على تناول الشاي معهما.

قال لنفسه بازدراء: أين هي قوة الإرادة لوغان؟

لكنه أدرك بسرعة بعد أن رأى المرأتين تنظران إلى بعضهما بقلق، أن عليه أن يقول شيئاً ليخترق هذا الصمت المربك.

سأل دارسي محدثاً: «هل كنت منهمكة جداً وقت الغداء اليوم؟».

وبدا أنها ارتاحت للكلام معه، فهي لم تكن قادرة على النظر إلى مارغريت.

ـ لم يكن الأمر سيئاً.

ولم يكن واثقاً من صدقها، فآثار التعب بادية عليها، وسأل:

ـ هل سمعت شيئاً عن أبيك؟.

ردت بهدوء: «لا».

ونظرت إلى أمه من بين رموش منخفضة.

بدا واضحاً أنها كانت تتساءل عما إذا كانت مارغريت قد سمعت شيئاً عن دانيال سيمون. حسن جداً، إذا لم تسألها دارسي، فسيفعل هو هذا!

نظر إلى أمه بعينين ضيقتين: «وماذا عنك؟».

أخذت مارغريت فرايزر وقتها لترد ثم أجابت:

ـ لوغان.. أنا.. آه.. الشاي.

وابتسمت للساقي وهو يضع الشاي على الطاولة أمامهم.

لم يستطع الشاب أن يبعد عينيه عن مارغريت وهو يقوم بعمله.. فلا شك أنه يتساءل عما إذا كانت هذه فعلاً الممثلة الجميلة مارغريت فرايزر،

لكنه كان أكثر أدباً من أن يسأل.

نظر لوغان إلى رد فعل الشاب باشمئزاز. كان دائماً يرى ردة الفعل هذه نحو جمال أمه وكان يشعر بقمة الإحراج حين كان يقدمها إلى أصدقائه. فلم يكن أحداً منهم يهتم لكونها كبيرة بما يكفي لتكون أماً لهم! كبيرة كانت أم صغيرة لا فرق، فقد كان الرجال دائماً يصرعون أمام جمال أمه.

استطاع أن يلاحظ غيرة دارسي وهي تراقب رد فعل الشاب نحو مارغريت فرايزر.

قالت الأم بخفة ما إن ابتعد الساقي: «هل أسكب الشاي؟».

قال بخشونة: «تفضلي.. وبينما تقومين بهذا أخبرينا عما إذا سمعت شيئاً عن دانيال».

هل يتخيل ذلك أم أن قبضة أمه ارتجفت فعلاً على إبريق الشاي وهو يكرر سؤاله؟

لقد ارتجفت، إلا أنها سيطرت على نفسها بسرعة ومالت برشاقة إلى الأمام لتعطي دارسي فنجان الشاي.. لكن لوغان لم ينخدع بحركتها لحظة.. فقد تكون أمه ممثلة رائعة، لكنه يعرفها منذ زمن بعيد لينخدع بها!

تابع ضغطه ما أن أعطته فنجانه: «إذاً؟».

ابتسمت أمه لدارسي ابتسامة صغيرة: «لطالما كان عنيداً هكذا!».

وهزت رأسها: «لقد مشى حين بلغ عمره تسعة أشهر وتكلم وعمره..».

قاطعها لوغان والاحمرار يغطي خديه: «أمي؟ أنا واثق من أن دارسي ليست مهتمة أبداً بمعرفة متى مشيت ومتى تكلمت، أو حتى أي شيء من الإنجازات الطفولية العادية».

رفعت أمه حاجبين أسودين: «هل أنت متوتر اليوم يا لوغان أم أنه يخيّل إليّ ذلك؟».

- لا . . إنك لا تتخيلين يا أمي.

وشد على أسنانه: «كما سبق وشرحت لك، أنا لست ممتناً لجرجرتي إلى مثل هذه الفوضى!».

ردت الأم بهدوء وهي تمد يدها إلى ذراعه: «إذن يا عزيزي، لماذا لا تتركنا وحدنا أنا ودارسي؟ يمكنني بسهولة أن أستدعي سيارة أجرة لأعود، وأنا واثقة من أننا سنتدبر أمورنا من دونك. . ».

واستدارت إلى دارسي: «أليس كذلك يا عزيزتي؟».

استدار لوغان أيضاً نحو دارسي. . إنه هنا بسببها، ولا يعجبه أبداً صرف أمه له بهذه الطريقة، وكأنه صبي مكلف بتوصيلها فقط، ولو فعلت دارسي الآن الشيء عينه. . !

كشرت دارسي: «آسفة لوغان. . أنا فعلاً أعتقد ذلك أيضاً. . بالطبع يجب أن تذهب. أنا واثقة من أن لديك أعمال تقوم بها».

- عظيم.

وضع فنجان الشاي على الطاولة قبل أن يقف: «سأترككما إذن».

ودون انتظار تعليق آخر من أي منهما استدار وسار خارجاً من الفندق.

كان غاضباً جداً لدرجة أنه نسي أن سيارته متوقفة في مرآب الفندق، وهذا ما زاد من غضبه. .

* * *

راقبت دارسي لوغان وهو يرحل محبطاً، ولم تعجبها فكرة بقائها لوحدها مع أمه. لكنها لم تكن تعتقد أنهما ستتحدثان بصراحة بوجود لوغان، والصراحة أمر يجب أن يكون متبادلاً بينهما الآن.

قالت مارغريت بلطف كأنها تقرأ أفكار دارسي: «لا تقلقي كثيراً على لوغان. . لديه طباع حادة. . لقد شعر بالانزعاج لأنه يجب أن يكون

مسيطراً».

بدا الأمر غريباً لدارسي، فهي تجلس هنا وتناقش أمر لوغان مع شخص يعرفه بشكل حميم. .

أكدت لمارغريت: «لست قلقة. لكنني حزينة قليلاً لأنه بدا غاضباً منا».

ضحكت أمه: «أنا معتادة على هذا. . لقد كان غاضباً مني معظم حياته، لسبب أو لآخر. لكنني أفهم تماماً كيف يمكن لهذا أن يكدرك».

هل تقول مارغريت ذلك لأنها تتساءل عن مدى حميمية علاقتهما؟

تمنت دارسي لو تعرف الرد على هذا. . ليلة أمس. . من الأفضل نسيان ليلة أمس، ووبخت نفسها فوراً. . لكن، حتى اليوم، لقد اتصل لوغان بأمه ودبر أمر اللقاء كما طلبت منه، وأوصل أمه إلى هنا. . وهذا لا يبدو على الاطلاق تصرف رجل غير مبال بها.

حتى أنها اليوم قد ارتدت ملابس جميلة، وتبرجت أكثر من عادتها، على أمل أن يراها لوغان بشكل مختلف. كان قد شاهدها في الغالب باكية أو متعبة من العمل في المطبخ. . وأرادت أن تريه أنها ليست دائماً هكذا. . لكن يبدو أنه لم يلاحظ مظهرها الأنيق.

هزت دارسي كتفيها: «لقد كان لطيفاً جداً».

ردت الأم مفكرة: «همم. . هذا ليس من عادة لوغان. . أوه. . لا تسيئي فهمي دارسي. . فأنا أعتقد أن ابني رجل مهذب رائع، لطيف، ومهذب جداً. الأمر فقط. . أنه يميل عادة إلى إخفاء كل هذا وينجح بشكل جيد».

لم تستطع دارسي منع نفسها من الابتسام. فهذا وصف دقيق للرجل الذي عرفته في الأسبوع الماضي وهي لم تعد تستطيع إضافة كلمة أخرى. لوغان كان فعلاً كما وصفته أمه، وهو حقاً لا يرغب في أن يعرف الناس

هذا.

ردت مارغريت الابتسامة بدفء: «هذا أفضل».

ومالت إلى الأمام لتلتقط طبق الرقائق الهشة اللذيذة التي وصلت مع الشاي.

ـ خذي قطعة بسكويت دارسي.. بإمكاننا أن نفكر بالحمية في الغد!

لم تكن مارغريت فرايزر بحاجة إلى التفكير بأي حمية، لكن هذا الأمر لا ينطبق على دارسي.. لكنها أخذت رقاقة بسكويت محشوة بالشوكولا.

ـ أنا أحب والدك كثيراً يا دارسي.. أتعلمين؟

لم تكن الملاحظة متوقعة، وكادت دارسي تختنق وهي تأكل البسكويت! كانتا تتحدثان عن الحميات والبسكويت بحق الله! فمن أين أتت هذه الملاحظة؟

نظرت دارسي إلى المرأة، فإذا بها ترمقها بنظرة ثابتة كشفت مشاعرها كلها. هذه المرأة تحب والدها حقاً..

ابتلعت دارسي البسكويت بصعوبة وبللت شفتيها، ثم قالت ببطء: «لقد طرح عليك لوغان سؤالاً قبل أن يغادر.. هل تعرفين أين هو أبي؟».

لم ترتجف نظرة مارغريت: «أجل».

تنهدت دارسي بارتياح: «هل هو بخير؟».

ـ أجل.

هزت دارسي رأسها: «هذا كل ما أريد أن أعرفه».

ابتسمت مارغريت قليلاً: «هل تتصورين أنّ لوغان يتقبل ردودي بسهولة؟».

ردت دارسي صادقة: «لا.. لكنه لا يهتم بصحة أبي مثلي».

تنهدت والدة لوغان: «لقد تزوجت بعد وفاة والده وكان لذلك انعكاس سيء عليه».

قطبت دارسي: «لا أعتقد..».

قاطعتها المرأة الأكبر سناً بهدوء: «ما أقوله له صلة بالموضوع يا دارسي.. كان لوغان في الحادية عشرة من عمره حين مات والده.. وفي الثانية عشرة حين تزوجت مجدداً.. فلم يتمكن، وهو في تلك السن من مواجهة زوج أمه!».

وبدت حزينة: «كان لوغان يكره مالكولم كثيراً.. وأنا لم أدرك في حينه أن مالكولم كان يتعامل معه بوحشية. وحين أصبح في الرابعة عشرة، قال لي إنه يكره زوجي ويكرهني، وانتقل إلى اسكتلندة ليعيش مع جده.. ولزمني عدة سنوات أخرى من الزواج لأكتشف بالضبط لماذا رحل لوغان، وفي ذلك الوقت، كانت علاقتنا قد تضررت بشكل لا يمكن إصلاحه.. وهو لم يسامحني أبداً».

لم تكن دارسي تعتقد حقاً أن عليهما مناقشة أمور لوغان سوياً. مع ذلك، فإن جزءاً منها كان يريد أن يعرف، يريد أن يجادل ويفهم ما الذي جعل لوغان يظهر على ما هو عليه. فإذا بالأمور التي قالتها مارغريت تجيب على العديد من تساؤلاتها.. رغبته في مساعدتها مثلاً، كانت لأنه يعرف بالضبط، ما تمر به بسبب تفكيرها بزواج أبيها الثاني.

لكن، دارسي لم تكن تعتقد أنها ستكره مارغريت فرايزر بسبب الوقت القصير الذي أمضته في التحدث إليها.

قالت دارسي محاولة إيجاد المبرر لتصرفات لوغان: «كان لا يزال طفلاً».

هزت مارغريت رأسها، غير موافقة: «سن الرشد، لسوء الحظ، لم يغير علاقتنا. بالنسبة للوغان، لقد خذلته حين كان يحتاجني كأم».

ونظرت إلى دارسي: «وهذا بالضبط هو السبب الذي منعني من الوقوف بينك وبين والدك».

كانت دارسي قد أدركت هذا. لكنها ليست طفلة مثلما كان لوغان حين

تزوجت أمه مجدداً. إنها في الخامسة والعشرين.

قالت مارغريت مترددة: «لقد قال لي دانيال إننا لو التقينا، أنت وأنا، في ظروف مناسبة، لأحببتك.. وهو على حق».

أخذت دارسي نفساً مرتجفاً: «لقد قال لي الشيء ذاته عنك.. وهو على حق مرة أخرى.. حين تتكلمين معه، أرجوك أن تقولي له..».

اقترحت مارغريت بحرارة: «ولماذا لا تقولين له بنفسك؟ بعد أن اتصل بي بالأمس.. كان من الصعب حين اتصل بي لوغان في وقت مبكر.. أترين.. والدك في شقتي دارسي. لم أستطع أن أحتمل حين أخبرني كم هو متكدر.. لذا فأنا..».

قاطعتها دارسي بسعادة: «لا بأس مارغريت».

وأحست بالارتياح لأن والدها بخير، وأكملت: «هل يعرف أننا سنلتقي بعد ظهر اليوم؟».

ـ لم أخبره بذلك.. فعلى الأرجح كان سيصر على المجيء معي.. و.. هل يمكن أن تتصوري ردة فعل لوغان على هذا؟

سألت دارسي بخفة: «هل تظنين أن أبي سيصاب بنوبة قلبية إذا ذهبت معك الآن لرؤيته؟».

ضحكت مارغريت بخفة: «هذا ممكن.. لكنه سيتغلب على هذا بسرعة حين..».

ـ حين؟

ابتسمت مارغريت: «أسفة، لقد تسرّعتُ في الإجابة».

ـ وهل قلت هذا لأنك تعتقدين أنني سأبارك زواجك من أبي؟ هذا ليس استباقاً للأمور يا مارغريت.. ما كان يجب أن أعارض أصلاً.. حتى لو كنت أنت مريعة تماماً، مع أن هذا غير صحيح.

قالت مارغريت بحزن: «أتمنى لو تستطيعين إقناع لوغان بهذا».

لوغان! إن إحتمال أن يصبح أخاً غير مباشر لها ذلك أمر واقع! فكيف ستكون ردة فعله بحق السماء حين يعرف بهذا..؟

* * *

٩ ـ لا أمل . . .

لم يكن لدى لوغان فكرة عما يفعله أمام مدخل مطعم الشيف سيمون في الساعة الحادية عشرة والنصف صباحاً!

حين ترك أمه ودارسي في الفندق يوم أمس، كان يستشيط غضباً بسبب ما اعتبره صرفاً مهيناً له . . وكان ينوي ألا يكلم أياً منهما مجدداً. لكن مع مرور الساعات، انقلب غضبه هذا إلى فضول حارق.

هل انتهى الأمر إلى كراهية بين المرأتين؟ أم أنهما توصلتا إلى نوع من الهدنة؟ كان بإمكانه أن يفهم دارسي تماماً إذا ما كرهت أمه، أما أن تكره أمه دارسي فهذا أمر مستحيل برأيه . . فمع أنها قد ركلته على ساقه، وهددت بسكب العصير عليه، إلاّ أنّ دارسي ألطف من أن يكرهها أحد.

لكن إذا توصلتا إلى نوع من الاتفاق فهو يريد أن يعرف بالضبط ما هو ذلك الاتفاق.

لكن فضوله لم يكن كافياً ليجعله يحتمل لقاء آخر مع أمه. لهذا جاء إلى المطعم في وقت مبكر وهو يعرف أنه لم يفتح أبوابه بعد، لكن دارسي ستكون في المطبخ منهمكة بتحضير الغداء.

طرق على الباب لكنه لم يلق رداً . . فطرق مرة أخرى بقوة أكبر. هذه المرة سمع صوت حركة في الداخل، وبعد ثوانٍ دار المفتاح في القفل، قبل أن ينفتح الباب ببطء.

ـ أنا آسف، لكننا لا نفتح قبل . . هذا أنت!

وتلاشت ابتسامة دانيال سيمون المهذبة بسرعة وهو يتعرف إلى لوغان، غير مصدق.

ولم تكن دهشة لوغان أقل حين تعرف إلى الرجل الآخر. كان يتوقع رؤية دارسي، أو ربما إحدى النادلات . . لكنه بالتأكيد لم يكن يتوقع رؤية صاحب المطعم، والد دارسي، يفتح له الباب!

التوى فم لوغان سخرية: «لقد عدت إذن».

رفع دانيال سيمون حاجبيه الشقراوين: «هذا واضح».

فأجاب لوغان بخشونة: «وفي الوقت المناسب . . كادت دارسي تنهار لشدة التعب خلال غيابك المفاجىء».

اشتد ضغط دانيال على فمه: «أعتقد أن هذا أمر بيني وبين ابنتي».

ـ لست موافقاً . . فأنت . .

قاطعه الرجل بحدة: «لوغان . . ماذا تريد بالضبط؟».

أخذ لوغان نفساً حاداً، آخر ما كان يتوقعه هو أن يواجه والد دارسي. مع ذلك، فهو لن يتراجع عما أراد أن يقوم به.

قال للرجل من دون مقدمات: «جئت أكلم دارسي».

هز دانيال سيمون رأسه وفتح الباب ليتمكن لوغان من الدخول إلى المطعم: «إنها في المطبخ . . أوه . . لوغان . . ؟».

ومر لوغان بقربه وهو في طريقه إلى المطبخ، فتوقف واستدار قليلاً ليرد متكبراً: «نعم؟».

تغير تعبير الرجل إلى الليونة:

ـ لا تفعل أو تقل شيئاً يكدرها . .

وأوحت لهجته أنه سيتعامل معه بجدية إذا فعل.

فانفجر لوغان في وجهه: «أنا أكدرها . . ! يعجبني هذا! لا أصدق! لست أنا من رمى منذ أيام قنبلة الزواج في وجهها على مائدة الإفطار . .

ولست أنا من..».

قاطعه دانيال سيمون: «لوغان.. مرة أخرى أقول لك: هذه مسألة بيني وبين دارسي.. لكن، وبما أننا ذكرنا موضوع أمك..».

قال لوغان بهدوء: «لم نذكره».

واشتدت قبضتاه إلى جانبيه، وبدأ يتمنى لو أنه لم يلتقِ بأي من أفراد عائلة سيمون!

لكن الرجل الآخر لم يكن على استعداد للصمت وأصرّ بحزم: «بلى.. ذكرناه.. ألم يحن الوقت بعد لكي تعطيها فرصة؟ أم أنك تنوي الاستمرار في لومها إلى الأبد لأنها أخطأت في زواجها الثاني؟».

استشاط لوغان غضباً.. كيف تجرؤ أمه على مناقشة أموره.. ومشاعره.. مع هذا الرجل؟

رد بجفاء: «ماذا قلت لي منذ لحظات؟ أعتقد أن هذه مسألة بيني وبين أمي!». ثم تابع طريقه إلى المطبخ.

كانت دارسي واقفة وراء إحدى الطاولات وظهرها إلى الباب حين دخل المطبخ. أقفل الباب بهدوء خلفه مما نبهها إلى دخوله.

قالت دون أن تستدير: «هل يمكنك أن تأتي لي ببعض البيض من البراد؟».

كان هناك براد كبير على مسافة قصيرة من الباب، وبعد أن تفحّص داخله، تمكن لوغان من رؤية صندوق فيه دزينة من البيض، فتحرك ليأخذها ثم وضعها على الطاولة قرب دارسي.

ـ شكراً.. أنا..

وتوقفت بغتة، بعد أن رفعت نظرها لترى لوغان واقفاً بقربها.. وأكملت شاهقة وقد علا الاحمرار خديها: «لقد ظننتك أبي.. أنا آسفة».

اشتد التوتر على وجه لوغان لذكر والدها.. وقال ساخراً:

ـ بالكاد.. متى عاد؟.

ردت بارتباك: «ليلة أمس.. أنا.. هل تمانع لو أكملت تحضير هذا؟».

رد بجفاء وقد استند إلى الطاولة: «مضحك جداً.. تبدين سعيدة اليوم؟».

إذا كان دانيال سيمون قد عاد إلى مطعمه فهذا لا يعني أن كل شيء عاد إلى طبيعته.

وانشغلت في كسر البيض: «وهل رأيت والدي؟».

لاحظ لوغان أنها تقوم بعملها بكفاءة.

أجاب: «نعم، فهو من فتح لي الباب لأدخل.. هل عاد بصورة دائمة، أم بصورة مؤقتة إلى أن تحضري من يساعدك؟».

واستطاع أن يرى أنه لم يخدع دارسي أبداً. فقد نظرت إليه شزراً.. لكن متى سيخبره أحد بما يجري؟

ـ لماذا لا تسأل مباشرة ما تريد أن تعرفه؟

لكن لوغان، وبعد وصوله إلى هنا ليجد دانيال سيمون قد عاد إلى المطعم، لم يعد واثقاً تماماً ماذا يريد أن يعرف!

التوى فمها: «تريد أن تعرف ما إذا تمكنت أنا وأمك من شرب الشاي معاً يوم أمس دون أن نقتلع عيني بعضنا!».

ـ حسن جداً.. وهل فعلتما هذا؟

ومال إلى الخلف متكئاً إلى إحدى خزائن المطبخ، شابكاً ذراعيه على صدره منتظراً ردها.

نظرت دارسي إليه مرة أخرى شزراً، وردت: «يسعدني أن أطمئنك إلى أنه ما من إصابات».

ما أصيب في الواقع كان كبرياؤه لأنه صرف كالخدم يوم أمس، حين

أكدت له المرأتان أنهما ستتدبران أمرهما من دونه.

ـ ووالدك؟ من أين أتى بالضبط؟

ردت بهدوء وهي لا تزال تحرك ما في الوعاء من مكونات: «لم أسأل».

صاح لوغان: «لم تسألي..؟ لماذا؟».

لو كان هو في الظروف ذاتها، لكان هذا أول ما رغب في معرفته!

هزت كتفيها: «لأن هذا ليس من شأني».

وضعت وعاء الطبخ الساخن جانباً وتركته يبرد.

لم يوافقها لوغان الرأي. لكن، نظرة واحدة إلى قسمات وجهها العنيدة جعلته يدرك أنه من العبث متابعة الحديث في هذه النقطة، فهي عنيدة مثله عندما تسنح لها الفرصة.

أخذ نفساً عميقاً، وقال بحدة: «حسناً.. دعينا نحاول التكلم من زاوية أخرى.. ماذا..؟».

وصمت بعد سماعه صوت رنين من خلفه.

ـ أعذرني لحظة لوغان.

وتحركت دارسي بخفة لتفتح باب الفرن وتخرج الفطائر، وقالت برضى بعد أن تفحصتها: «ممتازة».

قطب لوغان وهو يراقبها: «هل تصنعون الحلويات في المطعم أيضاً».

نظرت إليه بذعر: «طبعاً.. أي طاه لديه كرامة ويفخر بعمله يسمح لنفسه بأن يقدم حلويات جاهزة؟».

وبالرغم من أن دارسي قد اختارت مهنة أخرى، إلاّ أنه أصبح من الواضح للوغان، أنها طاهية ممتازة.. ومع ولائها الشديد، ودفء شخصيتها، لا شك أنها ستكون يوماً زوجة رائعة لرجل محظوظ..

من أين جاء بهذه الفكرة بحق السماء؟ ولماذا يهمه أي نوع من الزوجات ستكون دارسي؟

قالت: «هل لك أن تعذرني لبضع دقائق بينما أخفق البيض؟».

ولم تنتظر رده، بل ضغطت زر الخفاقة.. وأصبح تبادل الكلام بينهما مستحيلاً مع صوت الخفاقة الصاخب.

لقد جاء اليوم ببساطة، ليتنسم أخبار لقاء دارسي مع أمه.. وكل ما عرفه هو أن دارسي تبدو على ما يرام لذا لا سبب يدعوه للبقاء. ما عدا، أنها لم تخبره شيئاً بعد..

ـ انتهيت.

وساد صمت مبهج في المطبخ بعد أن أوقفت دارسي الخفاقة.

أكملت بلطف: «والآن.. هل يمكن أن آتيك بفنجان قهوة؟».

وابتسمت له ابتسامة مشرقة، ثم أجفلت: «أوه.. نسيت أنني يجب ألا أبتسم لك!».

لو استطاع لوغان أن يصفع نفسه في تلك اللحظة لفعل، بسبب تجاوبه الواضح مع الابتسامة بحيث تمكنت دارسي من ملاحظة ردة فعله هذه.. لقد حان الوقت ليخرج من هنا.. ويبقى بعيداً!

رفض قائلاً: «لن آخذ القهوة لكن، إذا كنت لا تمانعين.. أردت فقط أن أتأكد أنّ ما من آثار سلبية بعد لقائكما.. بالأمس».

وتحرك بعيداً عن طاولة العمل، وعن دارسي، وأكمل: «يبدو أن كل شيء عاد إلى طبيعته».

في الواقع، كان كل شيء طبيعياً.. لقد عاد دانيال سيمون إلى مطعمه.. وتصالح الأب مع ابنته على ما يبدو، ولوغان يقف في طريقهما... فما هو شعوره؟

نظرت دارسي إليه برعب.. فبدون مساعدته للقاء أمه، لبقي الموقف بينها وبين والدها حرباً قائمة. وأقل ما تدين به نحو لوغان، هو فنجان قهوة. كما أنها على الأرجح مدينة له بشرح ما حدث بالأمس بالضبط بعد

مغادرته الفندق.. في الواقع، سيكون من الأفضل للجميع إذا أخبرته بنفسها بكل ما جرى!

تابعت ضاغطة: «أرجوك، ابق لتناول القهوة لوغان، إنها جاهزة، وما علي سوى صبها».

أخيراً وافق: «حسن جداً.. لكنني لن أستطيع البقاء طويلاً.. لدي موعد غداء في الساعة الواحدة».

بكلمات أخرى، ابدئي بتقديم القهوة يا دارسي لأنني أهدرت ما يكفي من وقتي الثمين على هذا الموقف السخيف.

ربما كان هذا أمراً منصفاً بما يكفي.. إلا أن جزءاً منها راح يتساءل عمن ينتظره على الغداء...

أتراه موعد مع امرأة؟

على أي حال.. لعل لوغان عانقها.. ولأكثر من مرة، لكن تلك المناسبات كانت وليدة اللحظة، وليست نتيجة أمسية أمضياها معاً. وذلك يعني أن هناك احتمال بأن يكون في حياة لوغان امرأة أخرى.

ولسبب ما، وجدت دارسي هذه الفكرة مثيرة للاضطراب.

في الواقع، صدمت بشدة للفكرة.. وكانت يداها ترتجفان إلى حد يمكن معه أن ينسكب السائل الساخن على الأرض، إذا حاولت إيصال الفنجانين إلى الطاولة حيث يجلس لوغان منتظراً.

متى حدث هذا؟ ولماذا حدث؟

لقد اكتشفت لتوها الاكتشاف الذي سيزلزل حياتها! لقد وقعت في حب لوغان ماكنزي، آخر رجل في العالم تصوّرت أنها قد تقع في حبه!

تذكرت ما قالته مرة ساخرة للوغان في ما يتعلق بمشاعر أبيها نحو مارغريت فرايزر. كيف يمكن لإنسان أن يقع في الحب في ثلاثة أسابيع فقط.. يبدو أن الشيء ذاته حصل لها مع لوغان.. وفي بضعة أيام فقط!

قال لوغان بحدة لتأخرها في تقديم القهوة: «ظننتك قلت إن هذا لن يتأخر».

أخذت دارسي نفساً مهدئاً قبل أن تلتقط الفنجانين وتسير نحو الطاولة. لقد اكتشفت لتوها ما يعرّض عالمها كله للتحطيم.. لكن لوغان لم يكن يعي أي شيء.. ولا يجب أن يعيه أبداً!

فلن تتحمل، بكل بساطة، أن يعرف لوغان حقيقة شعورها.. فمما تعرفه عنه، وعن مشاعره نحو الحب، لا تستبعد أن يهرب منها لو عرف أنها تحبه. فهذا الأمر يبدو مستحيلاً في مثل هذه الظروف!

قالت: «أتريد البسكويت؟».

ولم تستطع النظر إليه بعد أن أحست بخجل مفاجيء وهي تدرك أنها إذا لم ترَ هذا الرجل مرة أخرى، فذلك سيدمرها تماماً. لكن، ومرة أخرى لم يكن هذا الأمر محتملاً في مثل هذه الظروف. لكن هل تكتفي بأن تراقبه وتراه يقدم على إحدى الزيجات التي تكلم عنها دون حب؟ سيكون ذلك بالتأكيد أكثر إيلاماً من عدم رؤيته مرة أخرى.

جلست دارسي قبالته. كيف يمكنها أن تكون بلهاء إلى هذا الحد لتقع في حبه من بين كل الناس؟

ونظر إليها بسخرية: «إذن.. ما رأيك بأمي؟».

يبدو أن الهجوم شكل من أشكال الدفاع عند لوغان. ولعله من الأفضل لها أن تتبنى هذا التصرف معه في المستقبل.

استقامت في جلستها.. ونظرت من دون أن يرف لها جفن إلى عينيه الساخرتين الزرقاوين القاتمتين.

ـ إنها فاتنة، ساحرة، وجميلة جداً..

ـ دعينا ننسى الرأي العام المعروف، والذي لا يعرف في الواقع شيئاً.. هل هذا ممكن؟ ما رأيك أنت بها؟

وضاقت نظرته، فترددت: «لن يعجبك هذا..».

التوى فمه، وقال ساخراً: «لقد خدعتك..! وأقنعتك بتمثيلية المرأة المحرومة المسكينة التي لا تجد من يفهمها.. ووقعت ضحيتها».

وهز رأسه باشمئزاز.

كتمت دارسي ردها الغاضب بجهد.. فمن السخف أن تصل الأمور بينهما إلى حدّ تبادل الألفاظ الجارحة، خاصة في أمر لا يسيطران عليه أبداً.

وردت عليه: «ليس تماماً».

هز لوغان رأسه بنفاد صبر.. وقال بغضب: «لا أستطيع أن أصدق أنك تركتها تخدعك».

مالت دارسي إلى الأمام: «لوغان.. رأيي بأمك ليس مهماً.. فرأيي ليس هو الذي يهم».

لقد توصلت إلى هذا الاستنتاج المؤلم بنفسها خلال الأيام القليلة الماضية.

ولم يبدُ أنه اقتنع.

ـ لا تقولي لي إن والدك، بالرغم من فسخها للخطوبة، لا يزال يظن أنها رائعة!

شرعت تقول ببطء: «أبي بعيد جداً عن الرجل الغبي الذي تظنه».

وهو ليس ذلك الأرمل المسلوب اللب الذي ظنته هي أيضاً!

كانت وأبيها قد تكلما طويلاً خلال الليل بعد أن رافقت مارغريت إلى شقتها، وأصبحت دارسي الآن متأكدة تماماً من أنه يحب المرأة الأخرى بالرغم من مساوئها.. كما أنّ الممثلة تحبه أيضاً.

ابتلعت ريقها بصعوبة قبل أن تبدأ الكلام، وهي تعي أن والدها سوف يعود إلى المطبخ في أي لحظة فالساعة قد قاربت الثانية عشرة، وهو يتعمد إعطاءها الفرصة لتتحدث وحدها مع لوغان..

وقالت له بلطف: «لوغان..لقد عادا عن فسخ الخطوبة.. في الواقع.. سيتزوجان».

قاطعها غير مصدق: «لا يمكن أن يكون هذا جدياً!».

ـ بل جدي تماماً.

أجاب باشمئزاز: «هذه الكلمة لا تنطبق أبداً على تصرفات أمي!».

تنهدت دارسي. كم تتمنى أن تجد طريقة تخفف بها الألم الذي عرفه لوغان في الماضي والذي تسبب في إحساسه هذا نحو أمه. لكن، وفي الوقت نفسه، كانت تعرف، كما تعرف مارغريت، أن ذلك مستحيل فإذا لم يتمكن لوغان من تقبل ما حصل في الماضي بنفسه، سيذهب جهدهما سدى.

وتابعت مصممة: «مع ذلك، فهما سيتزوجان».

تجمدت نظرته برودا: «أرجو ألاّ تتوقعي مني أن أهنئهما؟».

هزت رأسها بحزن: «أعتقد أن هذا توقع مبالغ فيه».

ـ لكنك دون شك أبلغتهما تهنئتك.. ولا تقولي لي إنك ستكونين وصيفة العروس!

أخذت دارسي نفساً سريعاً: «لوغان.. ألم يقل لك أحد إن المرارة هي مجرد شكل من أشكال تدمير الذات؟ وإنها..».

قاطعها ببرود: «أعتقد أنني سبق وأوضحت وجهة نظري بالنسبة إلى تحليلك النفسي غير الناضج..».

ـ أوه.. صحيح يا لوغان. أؤكد لك أن وجهة نظرك أكثر من واضحة! لكن الواقع الآن أنك لست لاعباً أساسياً في هذا الموقف بالذات.. ولا أنا.

وهذا أمر عرفته بعد معاناة عشتها خلال اليومين الماضيين. لذا، فرأيك، مثل رأيي، ليس له أهمية خاصة، لا لأمك ولا لأبي.

اعترف لوغان بصعوبة: «بكلمات أخرى، والدانا سيتزوجان، مع موافقتنا أو من دونها».

أطرقت دارسي ونظرت إلى لوغان: «لكن يبدو واضحاً أنهما يفضلان الحصول على موافقتنا».

بقي هادئاً: «قد تشعرين أنك على استعداد للعب لعبة العائلة السعيدة يا دارسي.. لكنني لست على استعداد لذلك».

ضاقت عيناها، وتصاعد سخطها من هذا الموقف بسرعة: «والمعنى؟».

ـ المعنى، أنهما يجب أن يتزوجا من دون موافقتي. وبما أنني لا أنوي حضور الزفاف، عليهما أن يتزوجا من دون وجودي حتى!

إنه عنيد، صعب المراس.. لا يتنازل..! ماذا سيخسر إذا كان موجوداً في عرس أمه؟ لا شيء، حسبما تراه. إلا إذا كان يعتبر أن كرامته الشخصية أهم من سعادة الزوجين المسنين؟

ـ لوغان.. أنت غير منطقي..

وقاطعها صوت قوي ناتج عن صفقه الفنجان الفارغ، وأصبح تعبير وجهه غاضباً.

ـ لست أرى أبداً ما هو غير منطقي في المسألة.. فأنا بكل تأكيد لم أكن موجوداً في عرس أمي الأول..

ـ لكنك لم تكن قد ولدت حينها.

رد ببرود: «هذا صحيح.. لكنني كنت حياً حين جرى زواجها الثاني.. ولأنها ومالكولم تسللا خلسة وتزوجا، ثم أخبرا العائلة فيما بعد، لم أحضر زفافهما كذلك. لذا لا أجد الآن سبباً يدفعني لكي أبدل عادة العمر كله!».

وقفت دارسي، وبدا الغضب على خديها الشاحبين: «لم تعد طفلاً في الثانية عشرة من عمرك الآن يا لوغان».

بقي جالساً ورد عليها: «مهما كان عمري، سيبقى ردي كما هو».

تنفست دارسي بصعوبة وهي تشعر بغضب ساخط نحو هذا الرجل:

ـ لوغان.. لقد طلبت مني ميغ وأبي، أن أكون أحد الشهود على زواجهما...

ـ كم هذا رائع!

ـ وسيسران كثيراً إذا وافقت على أن تكون الشاهد الآخر!

بقي لوغان على عناده: «إنهما يحلمان».

ـ أنا.. أنت..

تراجع لوغان إلى الوراء وقال بازدراء: «هكذا! لقد دفعاك لتطلبي أنت مني ذلك. أخبريهما إذاً أن مؤامرتهما لم تنجح».

غضبت دارسي لهذا الاتهام. فلا والدها ولا والدته اقترحا عليها أن تفعل هذا.. لقد قامت بما قامت به لأنها اعتقدت أن لوغان قد يكون أكثر تسامحاً في رده عليها مما لو واجه أياً منهما. وقد كانت على خطأ!

ـ أنت أكثر رجل متسلط، عنيد، قادني سوء حظي إلى أن ألتقي به!

واهتز صوتها بالغضب، وشدت قبضتيها إلى جانبيها.

مرة أخرى بدا أن لوغان لم يتزحزح أمام غضبها.. ورد ببرود مهين:

ـ وأنت، عزيزتي دارسي، الشابة الأكثر سذاجة التي قابلتها في حياتي.

لم تفكر ولم تلجأ إلى المنطق، بل تصرفت بغريزة صرفة، فالتقطت وعاء البيض الذي كانت قد خفقته، لتسكبه فوق رأس لوغان!

ثم نظرت إليه وهو يزيل الوعاء ببطء، ويضعه بحذر على الطاولة، وبياض البيض يتجمد على شعره ووجهه. بدا تعبير لوغان، عبر المادة اللزجة، مذهولاً.. ولم تستطع دارسي سوى أن تحدق فيه وهي تشعر بالرعب مما فعلته لتوها.

لقد تصرّفت بشكل رهيب أكثر من مرة في المدة القصيرة التي عرفته فيها.. لكن لوغان لن يسامحها أبداً على هذه.. أبداً!

***

١٠ ـ هناك أخرى؟

كان لوغان وفيرغوس يجلسان في أحد المطاعم، وليس في مطعم الشيف سيمون!

حدق لوغان بسخط عبر الطاولة نحو ابن خالته.. وبدا أن الرجل الآخر غير قادر على التوقف عن الضحك.

ـ هل يمكن أن تتمالك نفسك يا فيرغوس؟ لم يكن هذا مضحكاً.

شهق فيرغوس ليرد: «أنا آسف! لم أستطع منع نفسي! أنا فقط.. يا إلهي.. أراهن أنك بدوت في منظر مثير مع كل ذلك البيض النيء الذي يغطيك!».

وعاودته نوبة الضحك مرة أخرى.

تابع لوغان العبوس في وجه الرجل الآخر. وفكر في أنه قد يتمكن هو أيضاً من رؤية الجانب المضحك لهذا الموقف يوماً ما.. لكنه لا يعتمد على هذا! خاصة في هذه اللحظة بالذات، وبعد مضي ساعة تقريباً على ما حصل، فهو لا يزال يجد الأمر غير مضحك أبداً.

كان قد رفع نظره إلى دارسي في تلك اللحظة غير مصدق لما فعلته، محاولاً اقناع نفسه بأنه وسط أحد تلك الكوابيس التي تراوده في بعض الأحيان..

نظرت دارسي إليه مصدومة هي الأخرى بما فعلت، وحدقت فيه برعب..

ولم يكن لوغان متأكداً بعد من ردة فعله.. فعلى الأرجح، كان على وشك أن يصفع وجهها الجميل الصغير! لكن قبل أن يتمكن من فعل هذا، سمع باب المطبخ يلوح وينفتح من خلفهما.

قال دانيال سيمون: «اعتقدت أنني سمعت أصواتاً مرتفعة..».

وشهق وهو ينظر إلى مظهر لوغان المزري: «يا إلهي! ماذا حدث بحق السماء؟»

استدار لوغان إلى الرجل الآخر بعينين مقززتين برودا، وهو يعرف كم يبدو منظره سخيفاً.. ومن هو بالضبط المسؤول عن كل هذا.

وقال متشدقاً بقسوة: «كانت ابنتك تبرهن لي مرة أخرى خطورة معاداة فتاة حمراء الشعر، غريبة الأطوار».

ابتلعت دارسي ريقها: «أنا فقط..».

قاطعها لوغان بخشونة: «وفرّي جهودك..».

ووقف دون مقدمات: «لقد حان وقت رحيلي.. على أي حال.. ومنذ وقت طويل!».

وتحرك ليلتقط إحدى المناشف، ويمسح آثار البيض قبل أن ينظر إلى دانيال مباشرة، قائلاً:

ـ سأكون ممتناً إذا أبلغت أمي أن لا ضرورة لإرسال دعوة لي لحضور الزفاف.

نظر الرجل الأكبر سناً إليه بقلق: «وهل ستحضر كأحد الشاهدين؟».

شخر لوغان ساخراً، ورمى المنشفة التي كان يستخدمها.

ـ لن أحضر مطلقاً.. وأنا واثق من أن دارسي ستكون سعيدة بأن تشرح لك الأمر بعد ذهابي!

وسار نحو الباب، متابعاً: «إضافة إلى هذا.. وبالنظر إلى الماضي.. والحاضر! فمن المحتمل أن تقوم دارسي بتصرف شائن أكثر لو التقينا في حفل

الزفاف.. كطعني بسكين مثلاً خلال حفل الاستقبال!».

ـ لوغان.

استدار ببطء لسماع صوت نداء دارسي المعذَّب، ورد ببرودة الثلج:

ـ نعم؟.

كشرت بخجل: «أنا آسفة».

رد لوغان: «وأنا كذلك.. وأنا كذلك!».

لم تحاول إيقافه مرة أخرى، وكان هو ممتناً لذلك. كل ما أراده هو أن يصل إلى بيته قبل أن يراه أحد، ويستحم ليتخلص من آثار البيض قبل لقاء فيرغوس لموعد الغداء في الساعة الواحدة.

لسوء الحظ كان لا يزال غاضباً حين وصل إلى المطعم، بحيث أن أحداث الصباح لم تغب عن حديث الرجلين وهما يتناولان الطعام. لكن، وبعيداً عن التعاطف معه، كان من الواضح أن فيرغوس وجد المسألة كلها مضحكة!

تمالك فيرغوس نفسه بما يكفي لينصحه: «أوه.. هيا الآن يا لوغان.. ابتهج. لو حدث هذا لشخص آخر لضحكتَ أيضاً».

ـ لكن هذا لم يحدث لشخص آخر.

هز ابن خالته رأسه وهو لا يزال يبتسم: «يجب أن أعترف بأنني لم أتأثر كثيراً حين التقيت دارسي ذلك المساء. بدت لي فتاة صغيرة بشعة.. لكن التعرف إليها أكثر قد يكون مثيراً للاهتمام.. فمن الواضح أن شخصيتها مثيرة إلا أن ذلك لا يظهر عليها في البداية!».

وكان لوغان قد وجد دارسي بشعة كذلك حين التقاها للمرة الأولى.. إنما ولسبب ما، لم يرقه سماع ابن خالته يقول ذلك عنها، كما أنه لم يعد يراها هكذا، فجمال دارسي الداخلي يشع إلى الخارج عبر تينك العينين الرماديتين، وحين تبتسم..!

هز لوغان كتفيه دون اكتراث: «أنا واثق من أنكما ستلتقيان في عرس أمي».

لكنه لم يكن مرتاحاً لفكرة أن يعمّق ابن خالته الساحر الجميل المظهر معرفته بدارسي.. وأكمل ساخراً: «ما من شك عندي في أنك ستتلقى دعوة للعرس!».

ولم يكن لديه شك في أن ابن خالتهما الآخر، برايس، سيتلقى دعوة كذلك. وبرايس هو أكثر جاذبية من فيرغوس! اللعنة!

هز فيرغوس رأسه برضى حين رأى لوغان يبتسم: «هكذا أفضل.. كنت أعرف أن روحك المرحة ستظهر في النهاية».

لكن ابتسامة لوغان كانت كئيبة: «ماذا يمكن أن تفعل مع امرأة مثل دارسي؟».

قال فيرغوس موافقاً: «يجب أن أعترف أنني لم ألتقِ بامرأة مثلها من قبل، تبدو لي فريدة من نوعها».

واعترف لوغان في سرّه: نعم فريدة من نوعها..

قال فيرغوس: «أعتقد أنه يجب أن تذهب إلى العرس يا لوغان، ولو حتى لتوفير عرض إضافي للضيوف لن ينسوه أبداً!».

وكان لوغان قد بدأ يتوصل إلى الاستنتاج ذاته فيما يتعلق بحضور العرس.. لكن ليس للسبب الذي ذكره فيرغوس! بل لأنه بكل بساطة لم يشعر بالإرتياح لفكرة وجود برايس وفيرغوس بالقرب من دارسي. فالرجلان فاتنان تماماً، وما من شك في أن برايس سيرغب في أن يلتقي بدارسي، ما إن يخبره فيرغوس بما فعلته بلوغان..

على الأقل، هذا ما أقنع به نفسه وهو يقود سيارته عائداً إلى مكتبه بعد ساعتين. فراح يفكر بجدية بإعادة النظر في رفضه أن يكون شاهداً على الزواج.. وهو يدرك أن دوافعه ليست شريفة تماماً، ولا دخل لها إطلاقاً

بمشاعر أمه.. فهو ببساطة، غير قادر على ترك دارسي تحت رحمة الفتنة المهلكة لابني خالتيه.

قالت كارين له وهو يدخل مكتبه: «لقد اتصلت دارسي سيمون ثلاث مرات».

توقف لوغان، واستدار ببطء: «هاتفياً؟».

نظرت كارين إليه بحيرة: «طبعاً هاتفياً يا لوغان، كيف يمكن لها أن تتصل؟».

ـ قد تذهلين لما يمكن لدارسي أن تفعله.. إذن.. دارسي اتصلت؟

ـ ثلاث مرات.

قال بنفاد صبر حين لم تتوسع في الكلام عن الموضوع: «و..؟».

ـ و.. لا شيء. في المخابرتين الأوليين، طلبت أن تتكلم معك، ثم أقفلت الخط من دون ترك اسمها حين قلت لها إنك تتناول الغداء في الخارج، ثم عادت واتصلت منذ عشر دقائق.. وهذه المرة حصلت على اسمها.

عبس لوغان: «هل تريدني أن أتصل بها؟».

ردت كارين: «لم تقل.. لكنها بدت.. مذهولة قليلاً».

قال لوغان قبل أن يدخل مكتبه الخاص: «لو اتصلت مرة ثانية، دعيني أكلمها».

إذن، اتصلت دارسي به ثلاث مرات في الساعات الثلاث الماضية؟ كي تعتذر مرة أخرى من دون شك.. حسن جداً، يمكنها أن تنتظر، فهو لم يكن ينوي أن يريحها من كربها بالرد على مكالمتها!

كان لوغان قد قال لدارسي إن موعد غدائه في الساعة الواحدة، وحتى الساعة الرابعة تقريباً، موعد آخر اتصال لها، لم يكن قد عاد بعد إلى مكتبه. ما من شك أن ظنونها في محلها، فهذا الغداء ليس غداء عمل.. وعلى

الأرجح أن هناك امرأة أخرى في حياته وقد ذهب لمقابلتها.

أوه.. كم تشعر بالبؤس.. اعترفت بهذا وهي تنظف المطبخ بعد انتهاء الغداء.. لقد كانت الأمور من قبل سيئة بما يكفي بينها وبينه. وهي الآن متأكدة من أنه لن يسامحها على سكب البيض عليه. ما الذي تملكها بحق السماء لتفعل هذا؟

سألت نفسها ذلك السؤال عشر مرات أو أكثر منذ خرج لوغان من المطعم، ولم تحصل على رد مقبول.. فهل يعقل أن يكون غضبها من عناده المتعنت فيما يتعلق بحضوره زفاف والديهما قد منعها من التفكير بشكل صحيح، فقامت بردة فعل كهذه؟ ولم تكن تشك في أن لوغان لن يقبل بهذا العذر مطلقاً!

لم يكن لديها فكرة عما ستقوله حين تراه مرة أخرى، كل ما تعرفه هو أن عليها أن تعتذر له بشكل ملائم لما فعلته به. أما قبوله الاعتذار أو عدمه، فهذه مسألة أخرى!

أي عائلة سيكونان فيها.. أم وابن بالكاد يكلمان بعضهما.. ابن الزوجة وزوج الأم ليسا على وفاق.. وبالنسبة للأخ والأخت غير الشقيقين..! يا لها من طريقة يبدأ فيها أبواهما زواجهما!

قال والدها وهو يدخل إلى المطبخ بعد تأكده من أن قاعة الطعام جاهزة لهذا المساء: «يمكنك الذهاب إلى البيت لترتاحي إن شئتِ».

لكنها لا تشعر برغبة في العودة إلى المنزل الآن.. فقد يرد لوغان على مكالمتها ما أن يعود إلى مكتبه، ولو عادت إلى البيت، فستفوتها فرصة الحديث معه. أو ربما سيأتي إلى هنا بنفسه.. من يدري، فقد تحدث أعجوبة!

قال والدها بعد مراقبته للمشاعر المختلفة المتقلبة والتي بدت واضحة على تعابير وجهها: «إنسي الأمر يا دارسي».

كشرت وسألت ببؤس: «وهل تظن أن لوغان سينسى؟».

ابتسم والدها: «أشك في أن ذلك الشاب يمكن أن ينسى شيئاً، انظري كم من الوقت مضى وهو لا يزال يحتفظ بضغينته ضد ميغ».

إن مشاعر لوغان تجاه أمه لم تكن ضغينة بالضبط، ودارسي تعرف هذا. لقد كان صبياً صغيراً في الثانية عشرة من عمره حين تزوجت أمه مجدداً، أي أنه كان في بداية المراهقة.. وهو أكثر وقت يحتاج فيه إلى حب أمه وتفهمها..

قالت لوالدها بحزم: «لا أعتقد أن الأمرين متشابهان. صحيح أنه مرّ وقت طويل، لكن الأمر ما زال مؤلماً جداً للوغان».

رفع والدها يديه في حركة استرخاء: «ستتكدر مارغريت جداً حين تعرف أنه لن يحضر العرس.. في الواقع، قد تقرر إلغاء المسألة كلها، إلى أن يوافق على الحضور».

إن مارغريت فرايزر قادرة تماماً على هذا، ودارسي تعرف ذلك، فحبها لابنها لم يتغير أبداً مهما كان لوغان قاسياً عليها عبر السنين. لكن دارسي تعرف كذلك أن والدها لا يمكن أن يتحمل ذلك الشعور بالقلق مرة أخرى على المرأة التي يحبها.

كان مؤلماً لدارسي أن تدرك أن والدها وقع في حب امرأة أخرى بعد سنة فقط من وفاة أمها. لكنها تتقبل هذا الآن، وتعي تماماً أن والدها يحب ميغ ويحتاج إليها كزوجة له.

وبدا والدها مفكراً، وتمتم: «ربما يجب ألاّ تعرف مارغريت بالأمر.. يبدو أنك ولوغان أصبحتما صديقين.. لذا، ربما تتمكنين من إقناعه ما إن..».

قاطعته دارسي محتجة: «وهل تحافظ على صداقة شخص سكب على رأسك بيضاً مخفوقاً؟ لقد بكيت على صدره ثلاث مرات.. وركلته مرة،

وهددته بسكب العصير عليه..».

هز والدها كتفيه: «هذا يعتمد على سبب الاستفزاز.. وفي حالتك، أعتقد أن الأمر كان خطيراً، ويعتمد كذلك على ما إذا كان لديه روح مرحة أم لا.. لكن ربما أنت على حق.. فأنا لم أر أي دليل على روح المرح في ذلك الشاب، سوى قدرته على الضحك من نفسه!».

قال الشاب المذكور متشدقاً وهو يدخل: «وجدت باب المطعم مفتوحاً، فدخلت.. أعتقد أنكما كنتما تبحثان مسألة روحي المرحة؟».

يبدو أن العجائب تحدث فعلاً.. هكذا فكرت دارسي.. فهي لم تتوقع أبداً أن الأمر الذي تمنته سوف يتحقق فوراً. مرة أخرى يسعى لوغان إليها.. وهذا يحدث فعلاً.. لكن، لِمَ حصل ذلك في هذه اللحظة بالذات؟ نظرة واحدة إلى قسمات لوغان المتجهمة، كانت كافية لكي تعرف أنه غير راضٍ عن الطريقة التي كانا يتباحثان بها في شأنه وشأن طباعه..

قال والد دارسي ساخراً: «بل، فقدانك لها هو وصف أفضل.. سيتحطم قلب أمك حين تعرف أنك لن تحضر العرس».

التوى فم لوغان: «يجب أن تمتلك قلباً في الأساس ليتحطّم!».

صاحت دارسي ما إن اقترب والدها من لوغان، وأمسكت بذراعه قبل أن يصل إليه: «لا.. أبي!».

بقي لوغان من دون حراك تماماً. ربما لم يعتقد أن والدها كان ليضربه حقاً؟

نظر لوغان إلى دارسي بجفاء، وقال: «لقد بات واضحاً الآن من أين أتت دارسي بطباعها الحادة».

رد والدها بغضب: «التفاهم معك لا يجدي نفعاً على ما يبدو».

هز لوغان رأسه، وتمتم: «دارسي على الأقل، لا تترك علي علامات ظاهرة يمكن لأحد أن يراها.. وأشك في أن تكون أمي راضية، لو وصل

أحدنا، أو كلانا، إلى العرس بعين سوداء!».

واستدار إلى الرجل الآخر.

بدأ والدها يقول غير مصدق: «هل أفهم من هذا، أنك أعدت النظر بقرارك السابق بعدم حضور العرس..؟».

وبدا أنه قرر هذا فعلاً.. وأدركت دارسي ذلك بذهول.. ولو أن الأمر لا يمكن تصديقه!

هز لوغان رأسه: «بعد أن فكرت ملياً، وجدت أن من الفظاظة ألاّ أكون شاهدكما الثاني».

هل تراه فكر ملياً بالأمر أم أن المرأة التي كانت معه على الغداء لمدة ثلاث ساعات أشارت عليه - وبطريقة أقل مأساوية من طريقة دارسي - بإعادة النظر بقراره، وحضور عرس أمه؟ لسبب ما اعتقدت دارسي أن الفكرة الأخيرة هي الأقرب إلى الحقيقة. لكن ما عرفته مؤخراً من مشاعر نحو لوغان، جعلها تشعر بالاكتئاب لتفكيرها أن امرأة أخرى لها مثل هذا النفوذ عند لوغان!

ونظر إليها عن كثب: «إذاً؟».

قالت دارسي متحدية: «إذاً.. ماذا؟ هل تتوقع التهنئة على ما كان يجب أن تفعله أصلاً؟ لأنك لو كنت...».

قاطعها والدها بحدة محذراً: «دارسي! أعتقد أن هذا أمر جدير بالاحترام منك يا لوغان». ومد يده للرجل الأصغر سناً.

صافح لوغان تلك اليد بسرعة، وقال بتجهم: «كونا سعيدين فقط.. هم؟».

أكد له دانيال: «سنكون.. لو سمحتما لي، سأذهب لأزف لميغ الخبر السعيد».

لم يمنعه أي من دارسي أو لوغان. فبعد اتخاذ لوغان لقراره، لم يعد يهمه

ما قد يفعل دانيال.. أما دارسي فكانت لا تزال تغلي من فكرة أن ثمة امرأة في حياة لوغان، تملك مثل هذا التأثير عليه!

سأل مرة أخرى وقد أصبحا وحيدين: «إذاً؟».

ماذا يريد.. ميدالية؟ لمجرد موافقته على ما يجب عليه ألاّ يرفضه أصلاً؟

تابع كلامه بنعومة: «لقد اتصلت بمكتبي يا دارسي».

وتفحصت نظرته شحوب وجهها، ثم أضاف: «ثلاث مرات كما أعتقد».

كانت قد نسيت تماماً المخابرات الثلاث، خلال الدقائق الأخيرة المذهلة! وبعد أن اقتنعت أن هناك امرأة أخرى في حياته، أحست بالغباء لأنها قامت بتلك الاتصالات. فقد بدا الأمر وكأنها تلاحقه!

هزت كتفيها: «أردت فقط أن أعتذر!».

- مرة أخرى؟

بدت خجلة: «بدا لي أنك لم تقبل اعتذاري الأول».

ابتسم: «كانت أذناي ما زالتا ممتلئتين بالبيض المخفوق!».

أجفلت متألمة حين ذكّرها بتصرفها السابق. فهي لا تعرف ماذا يصيبها حين يكون لوغان موجوداً، وهي بكل تأكيد لم تتصرف بمثل هذه الطريقة الشائنة مع أي شخص آخر!

هل أخبر صديقته عن ذلك؟ هل أخبرها عن الأشياء المريعة التي فعلتها منذ التقيا؟ أوه.. يا إلهي.. كم تتمنى ألاّ يكون قد فعل! فالبؤس الذي شعرت به لاكتشافها أن للوغان علاقة رومانسية مع امرأة أخرى كافٍ، دون أن تضطر إلى تصوره يضحك على تصرفاتها السخيفة وهو يقصها على صديقته.

سألها لوغان: «كيف كان الغداء؟ أظن أن الحلوى أعجبت الجميع؟».

هزت رأسها بارتباك: «هذا بعد أن خفقت المزيد من البيض

لأصنعها».

ضحك لوغان: «حسن جداً.. ظننت أنك سوف تلملمين الفضلات من الخليط الأول وتستخدمينها».

قالت بابتسامة خفيفة: «لم يكن قد تبقى منها ما يكفي!».

نظر عن عمد إلى المطعم الفارغ وسأل: «هل أنهيت عملك هنا؟ هل أوصلك إلى البيت؟».

تنهدت، ورفضت: «لا.. لا أعتقد هذا.. شكراً لك. لقد كان يومي متعباً، وأعتقد أنني بحاجة إلى السير في الهواء الطلق».

نظر إليها متفحصاً: «متأكدة؟».

لم تعد متأكدة من أي شيء.. ما عدا أنها تحب هذا الرجل!

أكدت بصوت أجش، دون أن تلتقي نظراتها بنظرته المتفحصة:

ـ متأكدة.. أنا.. أشكرك لتغييرك رأيك حول حضور العرس. وكما رأيت، لقد جعل هذا أبي سعيداً جداً.

كشر لوغان: «دعينا نأمل أن يكون له التأثير عينه على أمي».

ـ طبعاً.

وساد الصمت بينهما، وبدا أنّ أيّ منهما لا يعرف ما عليه أن يقوله، وأصبح الصمت في المطبخ لا يحتمل بالنسبة لدارسي.

أخيراً قالت: «أنا حقاً آسفة لتصرفي.. وأعدك أنني في المستقبل سأحاول الابتعاد عن طريقك.. من أجل سلامتك!».

وشعرت بالبؤس لأنها على الأرجح لن تراه مرة أخرى حتى يوم الزفاف في الشهر القادم. وحتى في ذلك الوقت، من المحتمل أن ترافقه المرأة التي تناول الغداء معها اليوم..!

رد لوغان بابتسامة خشنة: «لا أعتقد أنك مضطرة إلى هذا».

وكانت ابتسامتها كئيبة وهي تقول: «بل أعتقد أن هذا أفضل».

سألها بحدة: «أفضل لمن؟».

استدارت عنه تبتلع ريقها بقوة وأجابت: «لكلينا.. فبعد الغلطة التي كدت اقترفها أنا الآن مسرورة جداً لأن أبي ومبغ سيتزوجان.. لكن هذا.. هذا لا يعني أننا يجب أن نكون..».

قال لوغان ببرود: «فهمت».

نظرت إليه بحدة.. هل فهم؟ وأملت ألا يكون قد فهم. فهي تشعر بما يكفي من السوء لأنها تحبه، لكن يجب ألاّ يعرف هو ذلك!

قالت له بإشراق زائف: «سأراك في العرس إذن».

هز رأسه وأجاب بحدة: «على ما يبدو.. أنا.. وداعاً دارسي».

بالكاد تمكنت من تمتمة رد على انصرافه البارد حين سمعت باب المطبخ يتأرجح لينغلق وراءه.. وتبع هذا بسرعة صوت صفق باب المطعم الخارجي.

جلست دارسي مرتجفة على أحد مقاعد المطبخ المرتفعة، ووجهها مدفون بين يديها، وبدأت دموعها تنهمر على خديها.

يجب ألاّ يعرف لوغان أنها ارتكبت أكبر حماقة خلال مدة تعارفهما.. ووقعت في حبه!

***

١١ ـ لم يبقَ إلا الغضب

احتسى لوغان العصير، وهو ينظر إلى الاجتماع العائلي الصاخب بعدوانية. ماذا يفعل هنا؟

إنه سؤال غبي.. فهو يعرف تماماً ماذا يفعل هنا.. فقد اقتنع جده بإقامة حفلة خطوبة لميغ ودانيال قبل أسبوعين من زفافهما.. وفي العادة، كان لوغان يتجنب هذا النوع من اللقاءات العائلية.. ويكره أن يحضرها.. ما عدا لسبب واحد..

لكن يبدو أنّ هذا السبب الواحد، ليس هنا حتى الآن!

بعد مضي عشرة أيام على رؤية دارسي، ظن لوغان أنها ستكون واحدة من الضيوف في قصر جده في نهاية هذا الأسبوع.. فمن الطبيعي أن تكون ابنة دانيال ضمن المدعوين.. وكان هو قد وصل منذ وقت قصير، بعد تأخر رحلته.. فلم تتح له سوى فرصة قصيرة للاستحمام بسرعة، وتغيير ملابسه قبل النزول إلى الطابق الأرضي لينضم إلى المدعوين في الصالة الرئيسية. لكن، سرعان ما سيستعد الجميع للعشاء، ولم يظهر بعد أي أثر لدارسي.

ببساطة لم يخطر له أنها لن تحضر حفلة خطوبة والدها.. ولو خطر هذا بباله، لما أزعج نفسه مطلقاً بالحضور إلى هنا!

نصحه ابن خالته برايس بجفاء وهو يقف إلى جانبه: «ابتهج يا لوغان».

كان الاثنان يشكلان ثنائياً رائعاً ووسيماً. لكن عيني برايس كانتا

خضراوين بينما عينا لوغان زرقاوان.

ـ كان من الممكن ألاّ يحدث هذا.

لم يكن واثقاً مما حدث.. كان يعرف فقط أنه اشتاق إلى دارسي في الأيام العشرة الأخيرة، ولكنه كان متأكداً من أنه على الأقل سيراها في قصر جده في نهاية هذا الأسبوع.. وراح يلوم نفسه لأنه لم يسأل أمه عما إذا كانت دارسي ستحضر.. بدلاً من أن يكون واثقاً من ذلك!

سأل: «باعتقادك، كم من الوقت يلزمني بعد العشاء لأتمكن من الاعتذار والذهاب إلى الفراش؟».

ضحك برايس للقلق الواضح عليه: «لقد ظننت أنك والخالة ميغ توصلتما إلى نوع من الهدنة في الأسابيع الأخيرة؟».

ورفع حاجبين ساخرين.

وضع لوغان كأس العصير الفارغ من يده، وأكد بحدة: «هذا صحيح.. لكن كما تعرف جيداً، أنا أكره هذا النوع من الحفلات.. حيث كل أفراد العائلة يحاولون التصالح معاً، ويفشلون فشلاً ذريعاً».

وأخذ يراقب جده وهو يلعب دور المضيف العظيم للعائلة والأصدقاء على حد سواء. وكان تصرفه هذا تجاه الأصدقاء زائفاً.. طبعاً.. فعشيرة ماك دونالد ليست معروفة بسلوكها الاجتماعي المميز، وأضاف متسائلاً: «في الواقع.. أنا مندهش لرؤيتك هنا كذلك».

كان برايس يعيش حياة منعزلة.. وغالباً ما يختفي عن الساحة الاجتماعية لمدة أشهر.. لكن بما أنه هنا في نهاية هذا الأسبوع، فلا بد أنه جاء في مهمةٍ ما.

نظر برايس إليه ممازحاً: «أتساءل أي من الجميلات العازبات هي دارسي؟».

تصلب لوغان مجفلاً، واستدار إليه بسرعة: «هل تحدثت إلى

فيرغوس؟».

ابتسم ابن خالته بمرح: «يمكنك المراهنة بحياتك على ذلك.. لا شيء سوى مقابلة تلك المشاكسة كان سيقنعني بالمجيء إلى هنا!».

ونظر إلى الضيوف الضاحكين المثرثرين بالقرف ذاته الذي بدا على لوغان قبل قليل.

رد لوغان ساخطاً: «ليست من اللواتي يقبلن بعلاقات عابرة يا برايس».

بدا على ابن خالته تعبير البراءة: «لم أعتقد ولو للحظة أنها كذلك.. أردت فقط أن ألتقي بالسيدة الشابة التي تغلبت على ابن خالتي المتعجرف الواثق من نفسه!».

رد لوغان متعمداً: «تلك العجرفة سمة في العائلة.. وأخشى أن يكون الحظ قد جافاك.. لأن دارسي ليست هنا!».

قال برايس بتأثر: «آه».

سأل لوغان بارتياب: «ماذا تعني؟».

رد برايس ببراءة مصطنعة: «لا شيء».

عبس لوغان مرة أخرى.. وقد أصبح العبوس مألوفاً لديه مؤخراً. ذلك أنه لم يجد ما يبتسم له! في الواقع أعماله ما زالت ناجحة، لكنها فقدت على ما يبدو روح التحدي في الأسبوعين الأخيرين. ولكي يكون صادقاً تماماً مع نفسه، يجب أن يعترف بأنه اشتاق إلى وجود دارسي حوله لتهدده، وترفسه، وترمي الأشياء عليه..

يجب أن يكون راضياً لأن حياته عادت إلى طبيعتها الهادئة! لكنه لم يكن كذلك.

وتكور فمه بتجهم: «أنا..».

قال برايس ببطء، مسلوب اللب ونظره مثبت على مكان ما عبر الغرفة

المزدحمة: «عن إذنك يا لوغان.. لقد رأيت لتوي شخصاً يستحق نظرة ثانية..».

كان معظم النساء الموجودات هنا هذا المساء، عازبات أم لا، جميلات ويستأهلن نظرة ثانية في الواقع، وثالثة كذلك. لكن، ما من واحدة منهن لفتت انتباه لوغان.. لكنه شكر هذه السيدة بالذات، كائناً من تكون، لإبعاد ابن خالته عن الموضوع الذي يعتبره لوغان شخصياً جداً.

ـ هيا.. اذهب.. أي واحدة هي؟

تمتم برايس: «لقد اختفت لتوها.. لكن آه.. إنها «موناليزا» بشعر أحمر..».

وانطلق مصمماً عبر الغرفة المزدحمة.

«موناليزا» بشعر أحمر..

هناك امرأة واحدة يمكن للوغان أن يفكر فيها، وهي تتناسب مع هذا الوصف.. دارسي!

أوَ لم يكن يذوب حرارة كلما أطلقت تلك الابتسامة الغامضة؟ أولم تكن تلك هي الابتسامة التي تضور من أجلها في الأيام العشرة الماضية..؟ رأى برايس ينحني نحو امرأة قصيرة. لا بد أنها دارسي!

إنها هنا.. لا يستطيع الانتظار إلى أن..

سأل صوت أنثوي: «لوغان.. أليس كذلك؟».

استدار بحدة، وهو يعبس توتراً، فرأى شقراء طويلة كانت أمه قد عرّفتها عليه في وقت سابق الليلة، تقف إلى جانبه وتبتسم له بجاذبية.

عرف لوغان أنه في أي وقت آخر، وفي ظروف أخرى، كان سيستجيب إلى هذه الدعوة.. لكن ليس الآن، وهو متأكد أن دارسي في هذه اللحظات برفقة ابن خالته الخطير الفاتن.

قال منصرفاً بحدة، واهتمامه متجه عبر الغرفة يحاول أن يلمح المرأة

التي يتكلم برايس إليها: «فيونا.. أليس كذلك؟».

صححت له الممثلة: «فرانسيسكا داروين».

بدا واضحاً أنها لم تنزعج لعدم تذكره اسمها وأكملت كأنها تساعده على التذكر: «أنا ألعب دور شقيقة ميغ في المسلسل التلفزيوني الذي تصورها الآن..».

رد بأدب.. وهو لم يكن يعرف حتى اللحظة أن دور أمه يشمل شقيقة:

ـ إنها رائعة.. أليست كذلك؟

ونظرت فرانسيسكا بإعجاب إلى حيث كانت ميغ تبتسم بحب لخطيبها وهما يتحدثان معاً بصوت منخفض.

لم تكن الملاحظة بحاجة إلى رد، حقاً.. وبكل صدق، لم يكن لدى لوغان أي ردا فهو لم يكن راغباً اساساً بأن يجري هذا الحديث أبداً.. ويفضل أكثر أن ينضم إلى برايس ودارسي! خاصة وهو يسمع أن هذه المرأة الشابة الجميلة تكنّ كل الإعجاب لأمه.

من الواضح أن دانيال سيمون، الرجل الشريف الوقور، كان يحب ميغ. ودارسي المتهورة الصادقة بدأت تعجب بها كذلك. وفرانسيسكا هذه المرأة الشابة التي تعمل معها يومياً لا شيء لديها تقوله سوى الإعجاب بها.. هل يمكن أن يكونوا جميعاً على خطأ بخصوص ميغ، وهو على حق؟ أم أنه هو المخطيء؟

على أي حال، ليس الوقت مناسباً للتفكير بهذا الأمر الآن.

ـ أنا آسف آنسة داروين..

ردت بحرارة: «فرانسيسكا.. هذا القصر رائع، أليس كذلك؟».

ونظرت حولها بإعجاب، يبدو أنها لا تعي أن لوغان يحاول أن يعتذر منها.

قال لوغان موافقاً: «إنه هكذا فعلاً.. لكنني حقاً مضطر..».

ـ لوغان.. جئتك بشخص يريد أن يسلم عليك.

قاطعه برايس بخفة.

عرف لوغان قبل أن يستدير أنها دارسي، فحتى لو لم تكن أحاسيسه قد نبهته لوجودها، فقد استطاع أن يشتم رائحة عطرها التي يعرفها جيداً.

كانت تبدو رائعة، في فستان رمادي لماع يصل إلى الركبتين، يشع كلون عينيها المليئتين بالألغاز، ويلتصق بجسمها المتناسق. أما شعرها فبدا كستارة حمراء ناعمة منسدلة على كتفيها. وعيناها كبيرتان مضيئتان، وخداها يتألقان بلون أحمر خفيف، أما شفتاها فتلمعان بلون قرمزي بديع.

حيّته بصوت أجش: «لوغان».

رد بخشونة، ونظرته القاتمة تكاد تأكلها.. إن لم يكن شيء آخر فيه..

ـ دارسي.

كانت تبدو أكثر نحولاً مما يذكر، واستطاع أن يرى أن دارسي لا تشعر بالسعادة.

كانت تنظر متسائلة إلى فرانسيسكا داروين، وبدا واضحاً أنها تتوقع من لوغان أن يعرفهما ببعضهما.. في حين لم يكن لوغان يرغب سوى بحملها إلى خلوة ليعانقها.

قدمت الممثلة نفسها، مصافحة دارسي باختصار: «فرانسيسكا.. وأعتقد أنك ابنة دانيال؟».

وجهت سؤالها باهتمام ودي.

فأكدت دارسي بتكلف: «أجل».

قال برايس يشرح سبب تأخرها في الوصول ويده على مرفقها كأنه يحاول مواساتها: «المسكينة دارسي كانت تجول في القصر، وضاعت بين الأبراج والأقبية، وهي تحاول منذ خمس عشرة دقيقة أن تجد طريقها إلى هنا».

إن هذا يفسر بسهولة سبب عدم نزول دارسي إلى هنا عند وصول

لوغان.. لكن، الآن وقد وصلت، وجد لوغان نفسه يرغب في إبعاد يد برايس عن ذراعها و..

قالت دارسي بتأنيب ناعم.. بعد أن تذكرت تلك اللوحة في شقة لوغان والتي رسمها برايس.

ـ لماذا لم تقل لي إن ابن خالتك هو برايس ماك اليستر؟

لم يكن قد أخبرها أن ابن خالته هو الرسام العالمي.. لأنه لم يخطر بباله أن يفعل هذا. فقد تربى الرجلان معاً.. وهو ببساطة لم يفكر يوماً في أن برايس هو من عائلة ماك اليستر، كما أنه لم يفكر أبداً بنجاح فيرغوس ككاتب، أيضاً.. لقد كان الرجال الثلاثة ناجحين كل في الحقل الذي اختاره. لكنهم بالنسبة لبعضهم البعض مجرد أنسباء.. ورفاق عمر.

لكنه استطاع أن يرى من العتب الذي يظهر في عيني دارسي القاتمتين أن التفسير لن يبدل شيئاً من الحرج الذي شعرت به ساعة تعرّفت إلى برايس، وعرفت أنه هو رسام اللوحة التي تمثل قصر جده والتي أعجبت بها كثيراً في شقة لوغان قبل أسبوعين! ألا يمكن أن يفعل شيئاً مناسباً أمام هذه المرأة؟

كان لوغان يبدو رائعاً! وكانت دارسي تتوقع رؤيته مرة أخرى هذا الأسبوع وتخشاها في الوقت نفسه.. توقعت رؤيته لأن الأيام العشرة الأخيرة بدت وكأنها دون نهاية.. وخشيت رؤيته، لأنها كانت واثقة من أنها حين تراه مرة أخرى سيكون برفقة المرأة التي تعني له الكثير في حياته كما هو واضح، إلى درجة أنها تمكنت من التأثير على قراره فيما يتعلق بحضور زفاف أمه.

فرانسيسكا.. طويلة، شقراء، مغرية في فستان أسود ضيق. إنها امرأة تملك كل ما لا تملكه دارسي، حتى اسمها جميل.

قال لوغان بخشونة: «وهل هذا مهم؟».

ما هو المهم...؟

ردت وهي تدرك أنه يشير إلى ملاحظتها بخصوص ابن خالته: «حسن جداً.. لقد شعرت بالسخافة لأنني لم أكن أعرف».

هذه العائلة غنية بالمواهب، وبشكل كبير. ممثلة مشهورة.. رجل أعمال مليونير.. رسام عالمي متجدد.. حتى الجد، هيوغ ماك دونالد بقصره، ومظهره الجميل المميز الذي يشبه مظهر لوغان، إنها عائلة مخيفة. وأحست دارسي بأنها خارج مستواها مع مثل هذه الصحبة.

كانت تعرف أن نهاية الأسبوع هذه في اسكتلندا ستكون صعبة. لكن، من أجل ميغ ووالدها كان عليها المجيء إلى هنا.. غير أن رؤية لوغان وجمال طلعته جعلتها تعرف أنها ستكون أكثر صعوبة مما تخيلت.. لكن الحمد لله أن برايس ماك اليستر موجود هنا لوحده كذلك، وأنه ميال إلى الصداقة!

طمأنها برايس بسهولة: «لا تفكري بالأمر يا دارسي.. بل ركزي على التفكير باقتراحي.. هم؟».

قال لوغان بقسوة: «وهل تقدمت باقتراح يا برايس؟».

تطلعت دارسي إليه مقطبة، واللون الحار على وجنتيها: «لقد اقترح عليّ ابن خالتك أن يرسمني».

ولم يعجبها أبداً تلميح لوغان. ولو أنها لم تأخذ اقتراح برايس ماك اليستر بجدية، بل كانت واثقة أنه يحاول أن يبني علاقة صداقة معها.. على أي حال فالرجل مشهور عالمياً.

قالت المرأة بإثارة: «كم هذا رائع!».

رفع لوغان حاجبيه ساخراً: «حقاً؟ هل هذه طريقة جديدة لدعوتها إلى محترفك لترى لوحاتك؟».

أحست دارسي أن غضبها قد بدأ يتصاعد.. وهذا شيء لم يحدث معها أبداً في الأيام العشرة الأخيرة.. ما الذي يبقيها غاضبة هكذا طوال الوقت عندما تراه؟

رد برايس بجفاء، وهو يبتسم لها مطمئناً: «بالكاد.. لكن إذا كان ذلك يزعجك إلى هذا الحد، يمكنك أن تجيء معها..؟».

رفعت دارسي نظرها نحو برايس متسائلة. لماذا ينزعج لوغان بحق السماء لما تفعله؟ إلا إذا كان برايس ببساطة، يسخر من دور لوغان المستقبلي كأخ غير شقيق؟ حسن جداً.. يمكنه أن ينسى هذا، إنها أكبر سناً من أن ترحب بحماية أخ على كره منه. خاصة حين يكون هذا الأخ لوغان!

بدا واضحاً من تعبير لوغان العابس أنه لم يكن معجباً بسخرية ابن خالته.

إنها فعلاً عائلة وسيمة بشكل غير عادي.. لوغان، فيرغوس وبرايس، ويبدو أن فيرغوس لن يحضر هذه الحفلة.. لكن بالنسبة لها يكفيها أن تتعامل مع لوغان وبرايس في وقت واحد!

قال لوغان بحدة: «أشك في أن يكون هذا ضرورياً.. أنت..».

وسكت مع سماعه الدعوة إلى العشاء.

تنهدت دارسي بارتياح. هذا اللقاء مع لوغان كان صعباً كما تصورته. فمن الواضح أن ليس هناك ما يقولانه لبعضهما. لكن نظرة واحدة إليه أكدت لها أن مشاعرها نحوه لم تتغير.. إنها لا تزال تحبه!

لكن ارتياحها كان قصيراً بحيث دام فقط حتى وصولهم إلى قاعة الطعام.. وما إن جلس هيوغ ماكدونالد وضيفا الشرف، ميغ ودانيال، حتى وجد الجميع أمكنة لأنفسهم.. ووجدت دارسي نفسها جالسة بين برايس ولوغان وجلست فرانسيسكا إلى الجهة الأخرى للوغان.

قال لوغان لدارسي بصوت منخفض: «كيف حالك؟»

أكدت له دارسي بارتباك، دون أن تلتقي بنظرته: «جيدة جداً.. شكراً لك».

وأحست بخجل إذ أدركت مجدداً أنها لا تزال تحبه.

لم تكن الأيام العشرة الأخيرة سهلة عليها. لكن وجودها الآن قربه، وفرانسيسكا إلى جانبه الآخر كان عذاباً لها.

سألت بأدب: «وأنت؟».

رد بحدة: «بخير.. هل ستقبلين عرض برايس؟».

هزت رأسها تبتسم بخشونة: «كان فقط يلاطفني».

ترقق فم لوغان: «برايس لم يكن يوماً لطيفاً بالنسبة لعمله».

ابتلعت ريقها بقوة، وقالت محتجة: «أعتقد أنه في هذه الحالة كان لطيفاً».

قاطعهما برايس باهتمام: «هل ذُكر اسمي بغير احترام؟».

نظر لوغان إلى ابن خالته، وعيناه تبدوان كقطعتي ثلج زرقاوين: «يبدو أن دارسي تعتقد أنك لست جاداً في اقتراحك بأن ترسمها».

أكد برايس ماك اليستر لها فوراً: «أوه.. لكنني جاد.. بل جاد جداً.. في الواقع لدي شعور أن لوحة دارسي ستكون اللوحة الأساسية في معرضي القادم».

قال لوغان: «لكن لعلها لا تريد أن ترسمها..».

واستدار نحوها يسأل: «هل تريدين؟».

لم تصدّق دارسي أن فناناً مثل برايس ماك اليستر، قد يفكر فيها كموضوع لإحدى لوحاته.. لكنها لم تكن متأكدة من أنها تريد أن تظهر أمام آلاف الناس، كما أنها لا تريد أن تكون سبب خلاف بين أبناء الخالة. كل ما تريده هو أن تبقى بعيدة عن الأضواء في نهاية هذا الأسبوع، وأن تقوم بدورها من أجل والدها، وأن تكون داعمة لزواجه المستقبلي، قبل أن تختفي إلى عالمها الخاص الغامض. لكن اهتمام برايس ماك اليستر برسمها، سيجعل هذا أمراً صعباً.

قالت بخفة: «أنا واثقة من أنه يمكن مناقشة هذا الأمر فيما بعد،

وأعتقد أن جدك على وشك أن يقترح نخباً للخطيبين».

وأحست بشيء من الارتياح عندما وقف هيوغ ماك دونالد على رأس المائدة.

طال العشاء، وهذا الأمر لم يكن ممتعاً بالنسبة لدارسي. كان الطعام رائعاً، ويليق بكل تأكيد بمستوى الشيف سيمون. لكن الصحبة هي التي جعلته لا يحتمل.. وبالرغم مما قاله لوغان عن ابن خالته، فقد كان برايس لطيفاً جداً، وتكلم كلاهما في العديد من المواضيع. لكن حديث لوغان مع فرانسيسكا جعل الأمر بمثابة كابوس بالنسبة لدارسي التي بالكاد لمست طعامها.

ـ هل تتبعين حمية؟

استدارت بحدة لتنظر إلى لوغان، وأدركت أنه كان يراقبها خلال ذلك الوقت، كي يعي أنها لم تأكل كثيراً من الطعام، بالرغم من أنها كانت تظنه منغمساً في جمال فرانسيسكا.

هزت كتفيها: «لست جائعة كثيراً».

سأل: «ستبدأين عملك الجديد قريباً، أليس كذلك؟».

أدهشها أنه تذكر ذلك. وهذا صحيح، ستبدأ عملها في حضانة الأطفال في الأسبوع المقبل.

امتدت يده لتمسك يدها: «متوترة؟».

لم تكن متوترة.. لكنها أصبحت كذلك الآن. ماذا يفعل لوغان؟ بل وماذا ستظن به فرانسيسكا وهو يلمسها هكذا؟

تابع لوغان بلطف: «يجب ألاّ تكوني متوترة، أتعرفين هذا؟ أنا واثق أن الأولاد سيحبونك».

كم تتمنى أن يحبها هو!

كانت قد ذهلت بعد ظهر اليوم حين وصلت إلى القصر مع والدها

وميغ.. إذ اقلتهم خلال الرحلة عبر الريف من المطار سيارة فخمة مناسبة لعظمة منزل ميغ العائلي.. بدأت الرحلة صعوداً من الطريق العام وبدت طويلة، ورأت خلالها آلاف الغزلان ترعى في الحقول..

أما القصر بحد ذاته فيبدو كأحد قصور القصص الخرافية!

تبين لدارسي أن هيوغ ماك دونالد صورة عن لوغان.. مما أعطاها فكرة عما سيكون عليه لوغان بعد أربعين سنة.. مهيب تماماً!

خُصصت لدارسي إحدى غرف النوم في البرج الشمالي، واختارت القبول باقتراح هيوغ ماكدونالد أن ترتاح حتى موعد العشاء. ليس لأنها فعلاً تحتاج إلى الراحة، بل لتعطي نفسها فرصة لتستجمع دفاعاتها المشتتة لأنها تتوقع رؤية لوغان ذلك المساء.. أما القصة التي أخبرتها لبرايس بأنها ضاعت في القصر المتسع، فقد كان فيها بعض المبالغة. فهي ببساطة تأخرت في النزول إلى الطابق الأرضي قدر ما استطاعت دون أن يفوتها العشاء.. وهكذا تأخرت عن رؤية لوغان مع فرانسيسكا الجميلة، قدر ما استطاعت!

لكن، في الحقيقة، لم يوفر عليها ذلك الكثير من الألم الذي أحست به لرؤيته مع المرأة الأخرى. واضطرارها لتقبل أهمية فرانسيسكا في حياته.

سحبت دارسي يدها من قبضة لوغان بلطف، وأكدت له: «أنا أتطلع شوقاً لبدء عملي».

اشتد ضغط لوغان على فمه لأنها نزعت يدها، وضاقت نظرته: «إذن.. لماذا لا تأكلين؟».

وقطب: «هل لأنك ما زلت منزعجة بشأن والدك وأمي؟».

ـ لا.. مطلقاً.

وبدت ابتسامتها محبة وهي تنظر عبر المائدة إلى الخطيبين. لم يكن هناك شك في مشاعر الحب بينهما.. وتمتمت: «إنهما زوجان رائعان.. أليس كذلك؟».

أكد لها بجفاء: «رائعان».

نظرت إليه مقطبة قليلاً: «لكن.. أما زال لديك شكوك..؟».

ـ هذا ليس من شأني.. أليس كذلك؟

لا.. ليس من شأنه.. لكن مشاعره نحو الزواج، أي زواج، ما زالت تخيفها.

نظرت إلى فرانسيسكا الجميلة وهي تتحدث إلى الرجل الجالس إلى يمينها.. هل تعرف هذه المرأة رأي لوغان في الزواج؟ وأملت دارسي هذا بصدق، وإلا فالمرأة الأخرى ستتلقى صدمة رهيبة.

مع أن فكرة زواج لوغان من امرأة أخرى كادت تجعل دارسي تحس بالإغماء.

ابتلعت بصعوبة: «أنا..».

قال: «ستقام حفلة راقصة بعد العشاء في «الصالون» الرئيسي».

وكأنه عرف أنها كانت على وشك أن تعتذر وتهرب إلى غرفة نومها..!

قاطعهما برايس: «لقد وعدتني دارسي بالرقصة الأولى يا صاحبي».

وأمسك بيد دارسي بحزم: «لكنني واثق من أنها ستخصص لك رقصة، فيما بعد!».

استدارت دارسي لتنظر إلى برايس بحيرة.. ولتواجه غمزة منه تنم عن مؤامرة! برايس ماك البستر يعرف.. بطريقة ما، أنها تحب لوغان! السؤال الآن هو.. هل سيخبر ابن خالته؟

تبخر كل تفكير بالهرب السريع إلى غرفة نومها بعد أن عرفت أنها لن تستطيع السماح لبرايس ماك البستر أن يفعل هذا. يجب أن تكلم برايس أولاً.. يجب أن تتوسل إليه لو اضطرت، لكي لا يخبر لوغان عن مشاعرها نحوه، لأنها لن تستطيع تحمل إشفاق لوغان المحرج.

ابتسمت لبرايس ابتسامة عريضة فارغة: «يبدو لي هذا رائعاً!».

ورأت لمعان الخبث في عينيه الخضراوين القاتمتين، وهو يتلقى رسالتها.

ردد لوغان ببرود: «رائع.. لكن يجب أن تنتبه لقدمي دارسي، برايس». ونظر إلى دارسي.

قال ابن خالته مادحاً بنعومة: «أنا واثق أنها ترقص بشكل رائع جداً».

تابع لوغان: «يجب أن تحذر ركلاتها».

وعرفت دارسي إلى ماذا يلمح بالضبط.. ولوّن الغضب خديها: «أنا واثقة من أن برايس لن يكون قليل التهذيب كي أضطر إلى ركله!».

قال برايس ماك البستر ممازحاً: «يجب أن أقول يا لوغان، إنني أجد صعوبة في أن أصدق أن هناك مبرراً لتصرفك غير المهذب مع شابة جميلة مثل دارسي».

رد لوغان: «الأمر سهل جداً.. صدقني».

استدارت دارسي لئلا يرى الدموع المفاجئة في عينيها.. فالغضب كان آخر ما تريد أن تثيره في لوغان.. لكن، وعلى ما يبدو، الغضب هو كل ما بقي بينهما..

***

١٢ ـ لا!

همس برايس من جانب لوغان: «إنها فاتنة تماماً يا لوغان».

كان الرجلان يقفان في الصالون الرئيسي، وفيما دارسي ترقص مع أبيها.

لم يزعج لوغان نفسه بالتظاهر بأنه لا يعرف عمن يتكلم ابن خالته: «إنها كذلك فعلاً».

لقد أدرك أن مجرد المحاولة ستبدو سخيفة، لأن برايس أنهى رقصه معها لتوه!

نظر برايس إليه: «إذن، لماذا لا تقول لها هذا؟».

ـ ولماذا أفعل بحق السماء؟

قال برايس بصراحة: «لأنك تحبها».

كاد لوغان يختنق وهو يشرب جرعة العصير، وأخيراً تمكّن من أن ينفجر قائلاً: «أنا.. أنا ماذا؟».

كرر برايس: «تحب دارسي... يجب أن أقول إنني معجب بذوقك.. لقد فكرت دوماً أنك لو وقعت في الحب، وقد كنت أشك في حدوث هذا لسنوات، ستختار امرأة غير مناسبة قطعاً.. لكن دارسي متواضعة، فاتنة، جميلة، وروحها مرحة..».

أخيراً استعاد لوغان وعيه بما يكفي ليحتج: «أنا لا أحب دارسي.. كنت أعرف دائماً أن الجانب الفني منك يجعلك رومانسياً يا برايس.. لكنني

لم أكن أدرك أنه يجعلك تتوهم أيضاً!».

رفع ابن خالته حاجبين عاتبين، وقال: «هذا غير صحيح!».

رد لوغان: «إذن أنت فعلاً واهم».

رد: «ولا هذا أيضاً. لوغان، هل تنوي أن تبقى مغفلاً طوال حياتك؟».

رد لوغان متصلباً: «لم أكن أعرف أنني مغفل».

ـ ستكون كذلك إذا تركت دارسي تخرج من حياتك.

قال بجفاء: «هذا مستحيل. فبعد أسبوعين سيتزوج والدها أمي.. وهذا بالتالي يجعلنا بطريقة ما شقيقين..».

نظر برايس إليه متسائلاً: «وأنت سعيد لهذا.. أليس كذلك؟».

ضحك لوغان بسخرية وهو يهز رأسه: «ليس لدي فكرة عما تتكلم يا برايس».

نظر إليه بارتياب وقال: «لا! لم يعجبك أن أمسك ذراع دارسي، وحين كنت أرقص معها منذ دقائق، بدوت على استعداد لكي تخنقني».

اللعنة على برايس.. إنه مراقب متمرس. ولا.. لم يعجبه قرب برايس من دارسي.. لكن الوصول إلى حد القول إنه يحبها.. أمر سخيف.. فهما لا يعرفان بعضهما سوى منذ أسبوعين.. وقد كانا أسبوعين عاصفين.. فالأمر بكل بساطة أنه يشعر برغبة في حمايتها، ليس إلاّ.

قال لوغان: «كنت أتساءل فقط في أي مرحلة من الأمسية ستركلك».

ابتسم برايس: «لن تفعل».

دهش لوغان: «أوه..؟ وما الذي يجعلك متأكداً؟».

حذره برايس بنعومة: «كل ما أتمناه هو ألاّ يكون الوقت متأخراً حين تقرر أن تصحو يا لوغان».

ضاقت عينا لوغان: «متأخر علامَ يا برايس؟».

لم يكن لوغان مسروراً لمناقشة أمر دارسي هكذا.. ولم يكن يعجبه أن يتكلم برايس عنها أبداً.

لكن هذا لا يعني أنه يحبها.. كانت ضعيفة جداً يوم التقاها.. ولا تزال هكذا في أحيان كثيرة.. وهو لا يحب أن يراها تتعرض للأذى.

اقترح عليه برايس مع انتهاء عزف الموسيقى وعودة دارسي ووالدها إلى ميغ: «لماذا لا تدعوها إلى الرقص؟»

ولماذا لا يفعل؟

سأله برايس: «خائف يا ابن خالتي؟».

رد لوغان بحدة: «هذا تحليل نفسي معكوس.. من المفترض الآن أن أركض إلى دارسي وأطلب منها أن ترقص معي لمجرد أن أبرهن لك خطأك.. صحيح؟».

لم يهتم برايس: «كنت فقط أتساءل لماذا لا ترقص مع أختك المستقبلية».

ـ ربما لأن ابن خالتي يقف كشوكة في الخاصرة.

أكد له برايس من دون تراجع: «وسأستمر على هذا الحال إلى أن تطلب منها أن ترقص معك».

حدق لوغان به: «لماذا تهتم أنت لهذا الأمر؟».

شجعه برايس: «إنها ترقص كالحلم يا لوغان.. خفيفة جداً بين ذراعيك، ومثيرة جداً في الوقت عينه. أنا..».

ونظر إلى وسط الصالون: «أوه.. تأخرت كثيراً يا لوغان.. لقد وصل جدي إليها أولاً!».

استدار لوغان ليرى جده يقود دارسي الخجولة إلى حلبة الرقص الكبيرة وسط الغرفة.

بدا جده وسيماً في بذلة السهرة السوداء والقميص الأبيض. كان اللون

الرمادي يغزو شعره أما نحول جسمه، فلا يظهر فيه أي أثر للسن. وكان يقود دارسي مخدرة الإحساس في رقصة «ڤالس».

كان الاثنان يتكلمان بصوت منخفض وهما يرقصان وتمكن لوغان من أن يرى أن دارسي تسترخي ببطء، وتتحرك برشاقة أكثر مع الموسيقى.. خطواتها تتوافق بكمال مع خطوات جده.

راح لوغان يتساءل عما كان جده ودارسي يتكلمان الآن بالضبط.. ومهما كان الموضوع بدا واضحاً أنهما يستمتعان بصحبة بعضهما.. فقد ضحكا معاً عدة مرات قبل أن تتوقف الموسيقى، حيث قاد هيوغ دارسي إلى والدها وميغ بكل وقار.

قال برايس ضاحكاً: «الشيطان العجوز، لا بد أنه تمتع كثيراً بهذا».

اعترف لوغان بجفاء: «ربما.. وأعتقد أننا سنعرف فوراً كم تمتع».

وتقدم جده يشق طريقه نحوهما مصمماً.

قال الجد مهاجماً: «ما بالكما أيها الشابان؟».

وأخذ كأس عصير ثم تابع قائلاً:

ـ أنتما وسط الكثير من النساء الجميلات، وتجبنان كغبيين!

ضحك برايس: «أستثني نفسي من قولك هذا».

ورد لوغان: «ونحن لا نجبن في أي مكان يا جدي».

نظر العجوز إلى لوغان نظرة ثاقبة: «وأنت ألن ترقص أيضاً؟ في الواقع، أنا لم أرك ترقص اليوم يا لوغان.. ماذا دهاك.. هل الصحبة ليست من مستواك؟».

ـ لا فمعظم هؤلاء الناس من لندن.

قال هيوغ بإعجاب: «كانت فتاة جميلة».

قال برايس: «من.. دارسي؟».

هز هيوغ رأسه: «الاسم غريب قليلاً.. لكن الفتاة رائعة. أعتقد أن

ميغ وسيمون قد يدبران زوجاً لها. لقد حان الوقت ليستقر أحدكم ويجعلني «الجد الكبير»».

وثبّت نظرته الفولاذية على حفيديه.

احتج لوغان: «أوه.. أرجوك.. ليس أنت أيضاً».

ووضع الكأس الفارغة على طاولة جانبية: «لو عذرتماني، كلاكما!».

استدار هيوغ ليسأل برايس: «ماذا قلت؟».

لم يبق لوغان قريباً بما يكفي ليسمع الرد، بل سار عبر الغرفة ووصل إلى جانب دارسي.

سأل لوغان متصلباً: «هل ترقصين؟».

كانت قد استدارت لتبتسم له وهو يقترب. لكن ابتسامتها تلاشت وهي تستوعب تعبيره الغاضب.

وسألت: «هل أنت واثق من أن هذا ما تريده؟».

لا.. فما يريده حقاً.. هو ما يريد أن يفعله في كل مرة يرى فيها دارسي! أن يحملها إلى مكان ما ويعانقها. وفي هذا الظرف، كان الرقص معها هو الأقرب إلى ذلك.. إذن فليكن الرقص.

لكنه غير رأيه: «ربما رقصت بما يكفي لأمسية واحدة، فهل تفضلين الخروج لنتمشى بدلاً من الرقص؟».

ربما لن ترغب بذلك.. تأوه في سرّه وهو يرى الحيرة على وجهها المعبر. هل يرغب حقاً في الخروج لتمشى مع امرأة تبدو ساخطة أكثر منه؟ بالتأكيد لا!

أخذ نفساً عميقاً مهدئاً وقال بخجل: «سأحاول مجدداً، دارسي هل يهمك أن نسير في الخارج لنتنشق الهواء النقي؟».

ابتسمت ابتسامتها الخجولة تلك وردت: «شكراً لك لوغان. أجل، أودّ هذا».

مد ذراعه لها وخرجا من الأبواب الزجاجية التي تقود إلى الخارج نحو الحديقة المعطرة بالورود.

تمتمت دارسي حالمة وهي تنظر من فوق الجدار: «أي مكان جميل هذا!».

لقد كان القصر والأرض التابعة له، يسبحان بضوء القمر. وكان نوره ينعكس على فستانها الفضي الرمادي، ليعطيها ملامح سماوية. ووجد لوغان نفسه مشلولاً في تلك اللحظة.

استدارت دارسي إليه: «ما الأمر.. لوغان؟».

تحركت ذراعاه حول خصرها، وانحنى يضمّها إليه.

منتهى السعادة.. كانت هذه هي المرة الأولى التي يشعر فيها أنه سعيد.. منذ آخر مرة ضمها هكذا.

كانت منسجمة معه تماماً.. ولم يكن يريد لهذا العناق أن يتوقف.. بل أراد أن يستمر في احتضانها..

انتزعت نفسها منه مبتعدة، ووجهها مصدوم تحت نور القمر: «لا! لا نستطيع فعل هذا يا لوغان».

وترقرقت الدموع في عينيها.

شعر بالصدمة للحظة.. لقد كان ضائعاً تماماً في سعادة عناقها وقربها منه.

قالت مختنقة: «أرجوك.. دعني أذهب».

اشتدت ذراعاه كالفولاذ حولها وهي تحاول التملص. فكررت بصوت باكٍ: «أرجوك!».

ارتخت قبضته، لكنه لم يتركها.. وهمس: «لن أؤذيك يا دارسي.. كان يجب أن تعرفي هذا.. لن أفعل أبداً».

كانت دوماً تقوم بأشياء تستحق انتقامه منها.. إلا أنه لم يتخذ يوماً

خطوة غاضبة نحوها . . . حتى تحت ضغط أقصى الاستفزاز . .

أصبحت فجأة جامدة بين ذراعيه، تتعمد ألاّ تنظر إليه، وقالت بخشونة: «إذن، دعني أذهب».

تأوه: «لماذا؟ لا داعي لنعود إلى الصالون . . يمكن أن ندخل القصر من باب جانبي، ونصعد إلى الجناح الخاص بي . . ».

انتزعت نفسها من بين ذراعيه: «لا . . !».

واستدارت لتعود إلى الداخل وأغلقت الباب بهدوء خلفها.

وقف لوغان مذهولاً لدقائق طويلة. ماذا فعل؟ ماذا قال؟ ماذا . . . ؟

استدار بحدة لإحساسه بحركة خلفه، وكانت خيبة أمله قوية لأن برايس وليس دارسي هو من خرج لينضم إليه.

قال له برايس: «لقد عادت دارسي إلى الداخل وهي لا تبدو هادئة كعادتها . . لذا فكرت أن من الأفضل أن أخرج وأتأكد من أنها لم ترم بك في البركة».

لا . . لم تفعل هذا . . لكن في الدقائق القليلة الأخيرة، عرف لوغان أنها فعلت شيئاً أسوأ من هذا بكثير . . بل أشد سوءاً مما يمكنه أن يحتمل!

كيف يفعل هذا؟ كيف يستطيع أن يضمها؟ بينما المرأة الأخرى، فرانسيسكا، موجودة في الصالون مع كل ضيوف حفلة الخطوبة؟

لطالما كانت تعرف أن لوغان متعجرف . . وأنه لا يؤمن بالحب، هذا عدا الزواج. لكنها، لم تفكر يوماً أنه قد يتصرف بمثل هذه الطريقة المتعجرفة . . وفي منزل جده!

ماذا ستفعل الآن؟ لن تستطيع البقاء هنا فيما قد يعود لوغان إلى الحفلة في أي لحظة، وهذا أمر مؤكد. ببساطة، لن تستطيع مواجهته بعد وقت قصير مما حدث في الخارج. لكنها لا تريد أيضاً تكدير والدها أو ميغ بالانسحاب باكراً.

فجأة، جاء هيوغ ماك دونالد لنجدتها . . فقد وقف ليعلن أن الوقت يقترب من منتصف الليل، وأنه سيرقص آخر رقصة «ڤالس» مع أجمل امرأة في الغرفة قبل أن يحين الوقت للذهاب الجميع إلى النوم أو إلى منازلهم.

لكن دارسي لم تعد واثقة من أنه أنقذها أبداً، حين تبين أن خياره وقع عليها كأجمل امرأة في الغرفة. ووجدت نفسها فجأة تتأرجح بين ذراعيه مع بدء الفرقة الموسيقية بالعزف!

تمتم بلطف في أذنها وهو يديرها على أنغام الموسيقى: «ابتسمي، أيتها الفتاة السخيفة . . لا تدعي أحداً من أسرة ماك دونالد يعرف أنه تغلب عليك».

نظرت دارسي إليه مجفلة: «ماك دونالد . . ؟ لكنك . . ».

قال هيوغ بغمزة شريرة: «لعل والدة لوغان تزوجت من أحد أفراد أسرة ماكنزي . . لكنه ماك دونالد أكثر من أي شخص آخر . . إنه بطيء قليلاً مع السيدات . . أليس كذلك؟».

وأطلق ضحكة مرتفعة لتعبيرها المصدوم: «زوجتي رحمها الله، اضطرت لضربي على رأسي بمقلاة لأدرك أنني أحبها!».

ضحكت دارسي بصوت منخفض: «أعتقد أنني أودّ سماع هذه القصة في يوم ما». لكنها كانت تعرف أن مثل هذه الطريقة لن تنفع مع لوغان.

وعرفت كذلك أن هيوغ طيب النية في مزاحه . . لكنها سبق وفعلت أشياء فظيعة للوغان . . وكل ما نجحت في فعله، أنه دعاها للصعود معه إلى جناحه . . وهذا بالكاد يكون إعلاناً للحب!

قال هيوغ مفكراً: «أوه . . لقد جربت هذا . . أليس كذلك؟ لطالما كان غبياً مع النساء».

وتنهد: «لو كنت أصغر سناً بأربعين سنة لطلبت يدك!».

ضحكت دارسي مرة أخرى: «لو كنت أصغر بأربعين سنة، لقبلت!».

ابتسم هيوغ لها بإعجاب مع توقف الموسيقى عند منتصف الليل تماماً. وبدا في تلك اللحظة شبيهاً بحفيده إلى حد بعيد.

وانحنى يقبل خدها بحرارة.

ـ سأتطلع شوقاً لرؤيتك مجدداً وفي وقت قريب.

في حفل الزفاف طبعاً.. بعد أسبوعين.. ولكنها لا تتطلع إلى الموعد بشوق على أي حال.. خاصة بعد المسار الذي اتخذته الأمور بينها وبين لوغان.. فبعد هذه الليلة! لن تكون المناسبة مشوقة قطعاً!

لسوء الحظ، كان لوغان أول شخص رأته وهي تستدير لتغادر حلبة الرقص. كان واقفاً يحدق فيها بعينين زرقاوين لامعتين، غاضبتين.

قالت ميغ تسترعي انتباه دارسي وهي تمد يدها لتضغط على ذراعها بمحبة:

ـ أليس أبي رائعاً؟.

رددت دارسي: «رائع».

قالت ميغ بحرارة: «دانيال وأنا سنتناول شراباً ساخناً في المكتبة قبل النوم.. هل تنضمين إلينا؟».

هزت دارسي رأسها: «لقد كانت أمسية رائعة. لكني أشعر بالتعب قليلاً».

وتحركت لتقبلهما بحرارة: «لماذا لا تسألين لوغان! يبدو أنه بحاجة إلى شراب ساخن مهدىء».

ولم تنتظر لترى ما إذا كانا قد قبلا اقتراحها وأسرعت تخرج من الغرفة. لقد كانت أمسية رائعة.. بل فظيعة.. مثيرة.. محطمة للقلب! أمسية أملت ألاّ تتكرر.

ترددت قليلاً بعد خروجها إلى الردهة الرئيسية. وقد واجهها أربعة سلالم، كل منها يقود إلى برج، فأي واحد هو الذي يقود إلى البرج الشمالي؟

هذا هو السؤال.

سمعت صوتاً ساخراً خلفها: «هل تتأخرين هنا، على أمل أن يظهر برايس ويرافقك إلى غرفة نومك؟».

أجفلت دارسي، وقوت نفسها قبل أن تستدير لتواجه لوغان بوجه متحجر.. وعينين جافيتين!

ماذا يريد هذا الرجل منها؟ ماذا يظنها؟ هل يظن فعلاً أنها قادرة على التسلل معه إلى غرفته فيما صديقته تنتظره؟

هزت رأسها بحزن: «أنا فقط أحاول اكتشاف أي سلم يقود إلى البرج الشمالي».

وكان التعب قد نال منها فلم تحاول إنكار التهمة الأخرى في سؤاله. لقد كان برايس لطيفاً معها، لا شيء أكثر، ولن تهين ذلك اللطف بمحاولة الدفاع عن برايس، أو عن نفسها.

بدا أن لوغان لم يتأثر.

ـ فكري باتجاهات البوصلة دارسي.. الشرق، الغرب، الجنوب...

وأخذ يشير إلى الاتجاهات.. فقاطعته: «حسن جداً لوغان.. لقد فهمت.. أعذرني إن لم أكن كشافة بارعة».

واستدارت بسرعة قبل أن يرى لوغان الدموع في عينيها واتجهت إلى السلم المقابل.

ـ دارسي..

ـ لوغان.. أنا مسرورة لأنني وجدتك.. كنت أبحث عنك في كل مكان!

كان من السهل على دارسي أن تتعرف على صوت فرانسيسكا داروين، وهي تسرع نحو السلم العريض، وساقاها ترتجفان بحيث لم تعد واثقة من أنها ستصل إلى غرفتها.

رد لوغان على المرأة الأخرى: «كنت هنا».

وصلت دارسي إلى أعلى السلم قبل أن تخذلها ساقاها، واستدارت إلى الزاوية لتستند بضعف إلى الجدار.. وبدأت دموعها تنهمر.

يجب أن تتحرك.. عليها أن تتحرك قبل أن يصعد أحد السلم ويراها. لكن ساقيها ما عادتا قادرتين على التحرك. لوغان يكرهها!

عادت فرانسيسكا للكلام مجدداً: «أردت فقط أن أقول لك إن الأمسية كانت رائعة، وآمل أن نتقابل مرة أخرى».

رد لوغان بنفاد صبر واضح: «ربما».

لم تتوقف دارسي لتسمع المزيد من الحديث، وابتعدت عن الجدار لتسير باضطراب عبر الممر نحو غرفة النوم التي خصصت لها. أضاءت النور ثم اقفلت الباب وراءها.

لم تفهم.. لقد ظنت أن فرانسيسكا داروين جاءت إلى هنا مع لوغان.. فقد رأتهما معاً حين دخلت الصالون، وفهمت أن هذه المرأة هي صديقة لوغان. لكن، بعد الحديث الذي سمعته لتوها، يبدو جلياً أنها كانت مخطئة.. وإذا لم يأتِ مع فرانسيسكا.. فهو لم يأت إلى هنا مع أحد.

إذن.. أين هي تلك المرأة، صديقته؟

لكن، إذا لم يكن هناك امرأة أخرى.. ماذا أو من جعله يغير رأيه؟

* * *

١٣ ـ الحب يصنع المعجزات

لماذا لا تكف هذه المرأة عن الثرثرة وتذهب؟.. فكر لوغان في سره مع استمرار فرانسيسكا داروين في الكلام.. ألم تدرك بعد أنه غير مهتم بها؟

الشيء الوحيد الذي يهتم به هو أن دارسي بدت متكدرة حين تركته منذ دقائق. وعرف أنها تكدّرت بسبب لؤمه معها، لكن يبدو أنه لم يكن قادراً على منع نفسه.. لأنه يحبها..

الحب.. لقد أدرك لحظة ابتعدت عنه في الحديقة، أنه وقع في حبها. وأن حبه لها كان سبباً في تلاشي كل المعاني من حياته. وهو الذي كان يظن أنه لن يشعر بهذا الإحساس نحو أي امرأة... وهذا ما أرعبه!

فالحب، كما كان يعتقد، أمر مخيف، لأنّ سعادة الحياة كلها تنحصر في شخص واحد. لكنه يدرك الآن أن الحب يشمل كذلك البهجة، والإحساس بالسرور في وجود الشخص الآخر، والسعادة في كل حركة، في كل كلمة تقال، والحاجة لحماية الآخر. وللمرة الأولى في حياته، أحس لوغان بالكمال.. وكأنه وجد نصفه الآخر، ودارسي هي ذلك النصف الآخر.

لم يعرف لوغان شعوراً كهذا من قبل.. الشوق إليها، ولتلك الابتسامة التي توقف القلب. كم كان يرغب في أن يعبّر لدارسي عن مشاعره.. لكن إحساسه بالرعب منعه.. لأنها لا تحبه.

لقد عرف هذا عندما كانا في الخارج، فقد أرادت الابتعاد عنه.. ولم

تستطع الانتظار لتهرب. . . فماذا سيفعل الآن؟

تقدم برايس ليتدخل بلباقة في الحديث.

ـ سأرافقك حتى الباب فرانسيسكا.

ونظر إلى لوغان نظرة قلق قبل أن يمسك بحزم ذراع فرانسيسكا، ويتحدث إليها وهما يبتعدان.

ـ لوغان. . ؟

استدار مذهولاً لينظر إلى أمه. . هل أحبت والده بهذه الطريقة التي يحب بها دارسي؟ وهل تحب الآن دانيال بالطريقة نفسها؟ إذا كان الأمر كذلك فأقل ما يدين به لها هو الإعتذار عن الطريقة التي عاملها بها، ليس لأشهر فقط بل لسنوات. .

ابتسمت له ميغ بلطف: «دانيال وأنا سنشرب شراباً ساخناً في المكتبة، تعال وانضم إلينا». ولم تنتظر رده، بل دست يدها تحت ذراعه وسار الثلاثة نحو المكتبة.

كانت النار المشتعلة تعطي وهجاً دافئاً، لكنها حرارة لم تكن تلامس لوغان. .

اكتشافه أنه يحب دارسي، وأن الحب ليس متبادلاً، كان سيئاً بما يكفي. . فكيف له أن يبدأ بالاعتذار من أمه بعد رفضه هذا مراراً عبر السنوات؟

نظرت إليه بقلق: «لوغان. . ؟».

لم تكن أمه قد رأته بهذه الحالة من قبل، وبدت مترددة. . فراحت تنظر بقلق إلى دانيال وكلاهما ينظر إلى لوغان بارتياب.

كانا على الأرجح يتوقعان منه قول شيء أو فعل شيء قد يفسد عليهما سعادتهما بهذه الأمسية، ومن يستطيع لومهما؟ لقد كان غبياً. . أنانياً وغبياً. . وليس له أي حق بأن يملي على هذين الشخصين ما يجب أو ما لا

يجب أن يفعلاه في حياتهما.

خرجت أنفاسه متحشرجة قبل أن يضع فنجان الشراب الساخن على الطاولة، ويسير ليمد يده إلى دانيال. . ويقول بهدوء: «أود أن أقدم لكما، ولو متأخراً، أحر التهاني».

ولم يتأخر الرجل المسن لحظة في قبول تلك المصافحة الحارة.

استدار لوغان إلى أمه: «أتمنى أن تكونا سعيدين معاً. . أمي».

تقدم لوغان ليحتضن أمه. وأحس بارتجاف جسمها وهي تبكي بصوت منخفض. . فمرات ومرات، تقرّبت أمه منه خلال السنوات العشرين الماضية. . وقد صدها مرات ومرات. لكن حبه لدارسي الآن، سمح للحب أن يعود إلى قلبه، وعرف أنه لم يتوقف أبداً عن حب أمه. . وأنه لن يستطيع أبداً أن يفعل.

قالت الأم مختنقة: «لقد جعلتني سعيدة يا لوغان».

وأحاطت وجهه بيديها وهي ترفع نفسها لتقبل خديه.

وشجعها بصوت أجش: «كونا سعيدين معاً. . هم؟».

رفعت الأم نظرها إليه متفحصة: «وأنت. . ؟ هل أنت سعيد؟».

رد بخشونة: «إذا لم أكن سعيداً، فلا ألوم سوى نفسي».

لقد اختار أن يعيش بالطريقة التي عاشها، وقسّى قلبه ضد الحب. ولن يلوم أحداً سواه إذا ما وجد نفسه الآن وحيداً.

ـ دارسي. .

قاطع لوغان ملاحظة دانيال المترددة: «شابة جميلة وفاتنة».

والتقى بنظرة الرجل المسن مباشرة.

هل يعرف دانيال؟ هل فضح لوغان نفسه بطريقة ما؟ هل كانت مشاعره نحو دارسي واضحة للجميع ما عداه. . ؟ هل تعرف دارسي؟

أضاف بصراحة: «إنها موضع فخر لك دانيال».

وأحس بالخوف لفكرة أن تعرف دارسي كيف يشعر نحوها.. هل كان هذا هو سبب هروبها منه؟

وضع دانيال ذراعه حول كتفي ميغ وقال بمحبة: «لم أكن واثقاً من هذا حين رمت عليك البيض المخفوق».

هز لوغان كتفيه: «كنت أستحق هذا على الأرجح.. على الأقل كانت هي صادقة في مشاعرها».

وهذا أمر لم يكنه منذ وقت طويل.. أولم يحن الوقت ليكون صادقاً تماماً في مشاعره.. مهما كانت الكلفة على كبرياءه؟

استقام في وقفته قائلاً: «إذا كنتما لا تمانعان، سأترككما لوحدكما الآن.. ما هذه السخافة.. طبعاً لن تمانعا».

وهز رأسه لسخافته، وأضاف: «اعتنِ بأمي يا دانيال».

اشتدت ذراع دانيال حول كتفي ميغ: «اعتمد عليّ في هذا».

لزمه بضع دقائق فقط ليعرف ما أراد أن يقوله، فراح يشق طريقه إلى الطابق العلوي. لكنه لم يتلق رداً حين طرق باب غرفة دارسي.. لا بد أنها نامت.

عليه أن ينتظر حتى الصباح ليتمكن من قول ما يريده، لم لا؟ لقد انتظر خمس وثلاثين سنة.. وليلة سهاد أخرى لن تقتله! أو على الأقل هذا ما أمله! ليلة دون نوم هي على الأقل ما يجب أن يتوقعه. وكل ما أمله هو ألاّ يفقد أعصابه في ليلة واحدة!

تلقّى صدمة حياته حين رأى دارسي تسير في الممر باتجاهه.. لم تكن مستكينة في الفراش أبداً.. بل لا تزال مرتدية ذلك الفستان الرمادي الضيق.

وبدت مصدومة حين رفعت نظرها ورأته! لو تجرأ.. لو قام بتعليق واحد عن سبب وجودها هنا..

حياها بخفة: «دارسي.. هل ضعت مجدداً؟».

ولم يبدُ فظاً أو ساخراً...

لكن هذا لا يضمن لها، أنه لن يكون فظاً ساخراً.. أنه..

عرض عليها بلطف: «هل ترغبين في أن أرشدك إلى غرفة نومك؟».

تابعت دارسي النظر إليه بحذر: «آه.. في الواقع.. أنا.. أبي وأمك دعياني لشرب شراب ساخن معهما في المكتبة. وعندما لم أتمكن من النوم، فكرت في أن أنضم إليهما على أي حال».

هز لوغان رأسه: «لقد تركتهما لتوي.. أنا.. أعتقد، أنهما على الأرجح يودان البقاء لوحدهما قليلاً».

وتصاعد احمرار الحرج إلى خديها: «بالطبع.. هذا سخف مني».

قال متفرساً: «ما رأيك بالانضمام إليّ في غرفة الجلوس لشراب ساخن؟ أرغب في الكلام معك على أي حال».

عاد إليها تشوشها مضاعفاً. كانت تشعر أنها مدينة للوغان بتفسير لتصرفها في الحديقة بعد أن أدركت سوء فهمها فيما يتعلق بفرانسيسكا. فراحت تبحث عنه لتعتذر وهي تعرف أنها لن تستطيع النوم إذا لم تفعل.. وبعد أن سألت إحدى الخادمات عن غرفته، كان ارتياحها كبيراً حين دقت على الباب، ولم يرد عليها، وقد عرفت أنه كان في الطابق الأرضي مع أبيها وميغ.

لكن، ألم تزل مدينة له بالتفسير؟

تقبلت دعوته بارتباك: «شكراً لك».

ورافقته نزولاً على السلم.

كانت غرفة جلوس العائلة أقل رسمية من الغرف التي رأتها حتى الآن، نار دافئة في الموقد، وأثاث قديم مريح، كتب ومجلات متروكة هنا وهناك، وصور عائلية في كل مكان. ما من شك أن بعضها للوغان حين كان صبياً،

وتمنت دارسي بشوق أن تتقدم وتنظر إليها.

مد لوغان كوب كاكاو ساخن: «هاك».

أخذت منه الكوب، واحتست الشراب الساخن، لتستمد الشجاعة من حرارته..

ـ لوغان..

ـ دعينا نجلس..

وأشار إلى كنبة خلفهما. وانتظر إلى أن جلست قبل أن يجلس إلى جانبها.

على الفور ارتبكت دارسي مجدداً.. قربها من لوغان في أي وقت كان بمثابة عذاب لها.. لكن وجوده في هذا المزاج الغريب أصعب من أن تحتمله.

أخذ ينظر إلى السائل الحار بين يديه، وقال بصوت منخفض: «أعتقد أنك ستسرين إذا علمت أنني تصالحت مع أمي».

سألت بتأثر: «حقاً؟».

وقفزت الدموع إلى عينيها: «أوه.. لوغان.. هذا رائع!».

وكانت تعني ما تقول.. مع أن لوغان لن يقدر لها هذا. لكنها تعرف أنه من الأفضل له ألاّ يكون هناك أي ارتباك في حياته.

هز رأسه ونظر إليها بعينين ملتهبتين: «والآن أرغب في أن أتصالح معك».

تراجعت دارسي في المقعد قليلاً: «معي..؟».

هز رأسه ثانية وتنهد: «إذا كنت قد أخفتك أو كدرتك سابقاً حين كنا في الخارج..».

احتجت: «أوه.. لكنك لم تفعل هذا».

آخر ما أحست به بين ذراعيه هو الخوف!

بدا مرتبكاً: «حقاً، على أي حال، واضح أنني فعلت شيئاً خاطئاً.. وأعتذر لهذا.. آخر ما يمكن أن أفكر فيه هو إخافتك أو تكديرك».

فجأة سمعت دارسي صوت الساعة الكبيرة القديمة خلفهما، وأحست بصمت القصر بعد ضجة الحفلة الصاخبة. وأدركت كذلك أن أي كلام، مهما يكن، يجب أن يأتي الآن منها.

عضت على شفتها من الداخل: «أنت لم تفعل أي شيء لوغان.. أنا.. أنا.. ظننت أن فرانسيسكا داروين كانت.. اعتقدت أنها ستبقى هنا في القصر.. معك!».

نظر لوغان إليها بتساؤل ثم قال ببطء: «ولماذا بحق الله تظنين هذا؟».

وقفت دارسي، وتحركت مبتعدة عنه. لم تكن قادرة على التفكير وهي جالسة إلى جانبه!

ـ كانت معك حين انضممت أنا وبرايس إليكما.. وجلست إلى جوارك للعشاء.. وجعلتك تغير رأيك حول أن تكون شاهداً على الزواج بعد الغداء ذلك اليوم!

بدا لوغان وكأنه يحاول فهم ما تقوله.

وتابعت دارسي بإحباط: «كان واضحاً لي أن من تناولت الغداء معه منذ عشرة أيام قد دفعك إلى تغيير رأيك».

مط شفتيه: «أنت محقة.. لقد فعل.. واعتقدت أنه امرأة؟».

ـ بالطبع كانت..

ونظرت إليه مترددة: «ألم تكن امرأة؟».

هز لوغان رأسه، وقال معترفاً: «كان فيرغوس.. ولو أن من غير رأيي فعلاً هو امرأة».

تنهدت دارسي بثقل: «هذا ما ظننته».

وضع لوغان كوبه من يده ووقف على بُعد خطوات منها، وقال لها

بصوت أجش: «تلك المرأة كانت أنت.. دارسي».

اتسعت عيناها: «أنا؟ لكن..».

تنهد: «فيرغوس وبرايس سيحضران العرس.. وكلاهما جذاب وعابث من الطراز الأول.. وأنت..».

كتمت أنفاسها، راغبة في أن يكمل، وحين لم يفعل، حثته: «وماذا لوغان؟».

أخذ نفساً عميقاً: «دارسي.. ماذا كنت تفعلين حقاً وأنت تتجولين في البرج الآن؟».

اعترفت: «أبحث عنك. لقد سمعت فرانسيسكا تتحدث إليك وهي تغادر، وأدركت أي غلطة فظيعة ارتكبتها.. وأنا.. احتجت أن أقول لك هذا».

ـ أنا أخطىء معك دائماً.

ـ لماذا؟

ـ لأنك...

قالت: «لأنني! لأنني ماذا لوغان؟».

بدا أنه يعيش معركة داخلية مع نفسه.. أخيراً تنهد بعمق قبل أن يبتسم لها: «أنت ذكية، مرحة، جميلة، فاتنة، مثيرة..».

ـ لوغان..

أنهى كلامه: «لذا قررت أن أحضر الزواج.. كي لا يأخذ مني أحد هذين النذلين الجذابين المرأة التي أحبها!».

حدقت دارسي فيه، وهي تبتلع ريقها بتشنج، واثقة من أنها لا يمكن أن تكون قد سمعته بشكل صحيح.. لوغان يحبها؟ لكنه لا يؤمن بالحب.. لقد سبق أن قال لها هذا.

أستدرك بألم: «أنا صدمتك فعلاً».

ترددت: «لم أصدم.. أنا.. أنت حقاً تحبني؟».

وشعرت أن قلبها يكاد ينفجر داخل صدرها.

أكد لها: «أنا أحبك حقاً. ولا أستطيع تصور أي شيء أكثر روعة من السير وأنت إلى جانبي لما تبقى من حياتي، وأن تكوني معي لنتحدث، لنضحك، لنبكي معاً، إذا كان هذا ضرورياً.. ولن أمانع أبداً لو أحسست أحياناً برغبة في رمي البيض عليّ».

كانت دارسي لا تزال تحملق فيه غير مصدقة: «أنا.. هل تعرف أن جدتك ضربت جدك على رأسه بمقلاة لتجعله يدرك أنه يحبها؟».

بدا مذهولاً: «جدتي الحلوة المهذبة، فعلت هذا؟».

هزت دارسي رأسها: «على ما يبدو».

ـ وهل نجحت..؟ واضح أنها نجحت. لقد بقيا سعيدين معاً لأكثر من خمسين سنة.

ورفع نظره إليها بحدة: «دارسي.. أتحاولين أن تقولي لي، وبأسلوبك الفريد من نوعه، إنك فعلت تلك الأشياء لأنك تحبينني؟».

خطت إلى الأمام نحوه، وأصبحت على بُعد إنشات منه.. وقالت بصوت مرتجف: «لوغان ماكنزي.. أنا أحبك كثيراً».

رد بخجل وهو يمد يده ليمسك كتفيها: «دارسي سيمون.. وأنا أحبك كثيراً كذلك.. هل تتزوجينني؟».

أخذت نفساً عميقاً: «الزواج لوغان؟ ألا تريد أن تعتاد على فكرة الحب أولاً؟».

وكانت محاولة للمزاح، ولو أن صوتها تكسّر لشدة العاطفة.

قال بتأكيد: «لا.. لا أريد أبداً أن أعتاد على هذا الشعور. إنه رائع.. مبهج».

واشتدت يداه على ذراعيها وهو ينحني ليعانقها بلطف.. ومن ثم

بشوق شديد.

لم يعد لدى دارسي فكرة كم من الوقت بقيا بين ذراعي بعضهما.. وكان هذا رائعاً!

أخيراً اعترف لوغان: «أعتقد أنني وقعت في حبك منذ اليوم الأول».

ردت دارسي وهي تريح رأسها على صدره: «لا أصدق هذا. لقد بكيت على قميصك وبدوت من دون ترتيب».

ضحك لوغان: «دموعك هي التي جعلتني أشعر بك كإنسانة دارسي، أما ابتسامتك.. فقد خطفت أنفاسي.. هل تتزوجينني؟».

أجابت: «أجل».

ولم تعد قادرة على تصور أي شيء أكثر روعة من أن تكون مع لوغان لبقية حياتهما.

حثها متشوقاً: «قريباً؟».

ردت: «قريباً جداً».

وعرفت أنها لا ترغب في شيء أكثر من أن تكون لهذا الرجل لما تبقى من حياتها، وقالت بصوت منخفض: «ما زلت لا أصدق هذا يا لوغان».

دفنت وجهها في قميصه: «أعدك بألاّ أركلك أبداً أو أرمي البيض المخفوق عليك ثانية».

ضحك لوغان: «لا تعدي بأشياء لن تتمكني من الوفاء بها يا حبي، فأنا واثق من أنني سأفعل أحياناً أشياء ستزعجك.. أنا أحب غموضك دارسي. في الواقع، أنا أتوقع منك أن تمنحيني توأماً.. أو حتى ثلاثة، في يوم ما كنوع من المقاومة!»

يا لها من فكرة رائعة!

في الواقع، يعد المستقبل مع لوغان بأن يكون مليئاً بالأحداث الرائعة!

* * *